الجمهـورية الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليـم العالي والبـحث العلمي

جامعة الدكتـور يحي فارس _المدية_

قسـم الآداب واللغات

سـؤال الهـوية والوجـود في رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي"

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص أدب حديث ومعاصر

من إعداد الطالب:

قايدي أسام الدين

تحت إشراف الأستاذ:

د. محمد شوقي زاوي

مقدمة أمام لجنة المناقشة المكونة من:

اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الصفة
أحمد فجر	المدية	رئيسا
محمد شوقي زاوي	المدية	مشرفا
فوزي لدزر	المدية	مناقشا

الموسم الجامعي 2025/2024


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى مصدر الأمان الذي أستمد منه قوتي إلى نور عيني وحظي الجيد وفوزي وفخري، إلى من كانت الداعم الأول لتحقيق طموحي، إلى من كانت ملجأي ويدي اليمنى في دراستي.

إلى من أبصرت بها طريق حياتي واعتزازي بذاتي، إلى القلب الحنون إلى من كانت دعواتها تحيطني

إليك جنتي أمي

شكر وعرفان

الحمد لله على نعائمه، والصلاة والسلام على صفوة خلقه وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه، وبعد: يطيب لي وقد من الله علي بإكمال هذه المذكرة أن أرد الجميل لأهله، وأنسب الفضل لأصحابه، فالشكر لله أولا وآخرا على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة على ما يسر لي من إنجاز هذه المذكرة، فله الحمد والثناء بما هو أهله.

وانطلاقا من قول المصطفى، صلى الله عليه وسلم. "لا يشكر الله من لا يشكر الناس "(رواه أحمد والترمذي) أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للصرح العلمي الشامخ بجامعة الدكتور يحي فارس. المدية، كما أقدم شكري لكلية الآداب واللغات، والشكر موصول لقسم اللغة والأدب العربي.

وبأصدق العبارات وأوفاها أقدم شكري وتقديري للدكتور الفاضل: "محمد شوقي زاوي"، المشرف على هذه المذكرة، على ما أولاني به من اهتمام، ونصح، وإرشاد، وإفادة لي، فجزاه الله خير ما جزى به أستاذا عن طالبه.

كما لا يفوتني أن أتقدم بكل الشكر والامتنان لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث ولو بالدعاء، وأخيرا أسأل الله العظيم أن أكون وفقت في هذه الرسالة، فما من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ سورة هود

مقدمة

مقدمة:

تُعتبر قضية الهوية والوجود واحدة من أكثر القضايا التي أثارت تفكير البشر عبر العصور، وذلك لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الإنسان وفهمه لنفسه ومكانته في العالم. فالهوية ليست مجرد إجابة بسيطة على سؤال "من نحن؟"، بل تشمل أيضاً التأمل في العلاقة مع الآخرين، ومع الزمن، والانتماءات الروحية والثقافية والسياسية، أما الوجود فهو لا يُفهم فقط كحضور مادي، بل يتطرق أيضاً لعمق تجربة الإنسان في بحثه عن معنى الحياة وقلقه الوجودي، ورغبته المستمرة في فهم نفسه وموقعه في الكون، وتندرج هذه الدراسة ضمن تفاعل مفهومي الهوية والوجود في النصوص الأدبية، لاسيما الرواية العربية المعاصرة، باعتبارها مرآة تعكس التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي مرت بها المجتمعات العربية في السنوات الأخيرة، وترجع تعقيدات مفهوم الهوية في السياق العربي المعاصر إلى تنوع المرجعيات الثقافية والانتماءات المختلفة ما بين الدينية والقومية والعالمية، مما يعكس لدى الفرد نوعاً من التوتر أو الازدواجية في رؤيته لنفسه، من ناحية أخرى يُظهر سؤال الوجود مشاعر القلق لدى الإنسان العربي المعاصر بسبب التهميش والاغتراب والقمع وفقدان المعنى، مما يجعل الرواية العربية مساحة غنية لتمثيل هذه القضايا من خلال خلق شخصيات تصارع مع ذاتها ومع العالم، أو باستخدام تقنيات سردية تعكس الانقسام والامتزاج الزمني والوعي المضطرب.

أهمية الموضوع:

ترجع قيمة البحث في موضوع "سؤال الهوية والوجود"، أنه من المواضيع البارزة والمهمة في الأدب العربي الحديث، حيث يعكس التحديات والتغييرات التي تمر بها المجتمعات العربية، ويتناول الأدب قضايا الهوية الفردية والجماعية، والتي تعد تجارب مهمة تتعلق بالانتماء والاغتراب.

وتعتبر رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي" من الأعمال الأدبية البارزة التي تعالج قضايا فلسفية وإنسانية معاصرة، بحيث تعكس صراع الشخصيات في سعيهم لفهم أنفسهم

مقدمة:

في عالم متغير مليء بالتحديات، كما تبرز العلاقة بين الفرد والمجتمع مشيرة إلى الضغوط الاجتماعية، وتأثيرها على الخيارات الشخصية. وبذلك كان اختيارنا لرواية "قناع بلون السماء" كبوابة لمعالجة موضوع الهوية والوجود نظرا لما تقدمه من أفكار غنية لفهم الموضوع.

إشكالية الموضوع:

يتمثل الإشكال المحوري الذي يتأسس عليه موضوع المذكرة في: كيف تعكس رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي" صراعات الهوية والوجود في سياق التحولات الاجتماعية؟

ثم هناك مشكلات تطرح لنعبر بها عن الفصول في ثلاث مقاربات وهي:

1/ كيف تناول "باسم خندقجي" سؤال الهوية والوجود في روايته؟

2/ ماهي الأبعاد الفلسفية والإنسانية التي انعكست في الرواية؟

3/ كيف ظهرت الهوية في علاقتها بالوجود الفردي والجماعي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ننطلق من خطة والتي تتكون في مجملها من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة حيث في:

الفصل الأول الذي حمل عنوان "الإطار النظري والمفاهيمي" ويضم ثلاث مباحث، فالمبحث الأول جاء تحت عنوان مفهوم الهوية والوجود، أما الثاني بعنوان الأدب وسؤال الهوية والوجود، والمبحث الثالث بعنوان باسم خندقجي وسياقه الأدبي، أما الفصل الثاني والذي يدرس تحليل سؤال الهوية في رواية "قناع بلون السماء"، ونعالج فيه الهوية الفردية والجماعية في المبحث الأول، أما عن الثاني جدلية الذات والآخر، والمبحث الثالث جاء بعنوان الرموز والدلالات المتعلقة بالهوية، أما الفصل الثالث تناول سؤال الوجود في رواية "قناع بلون السماء"، حيث يحمل ثلاث فصول مباحث، فالأول الوجود الفردي أما الثاني الوجود

الجماعي، والثالث بعنوان أبعاد فلسفية في الرواية، وخاتمة بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

فرضيات الموضوع:

تتناول رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي" مواضيع مختلفة تتعلق بالهوية والوجود، وتستند هذه الدراسة إلى مجموعة من الفرضيات التي تسعى لفهم هذه القضايا بشكل أعمق، حيث نجد أن الهوية والوجود في الرواية يعكسان أزمة الإنسان المعاصر، وهذه الرواية تحمل أبعادا إنسانية وفلسفية تتخطى السياق المحلي.

دوافع اختيار الموضوع:

أ/ الدوافع الذاتية:

حب الاطلاع في هكذا مواضيع، ولا سيما التي تخص الانتماء الوطني والقومي، لأنها رغبة دفينة في كل أصيل شغله حال أمته ووطنه.

ب/ الدوافع الموضوعية:

الخوض في مسألة الهوية يقتضي منا البحث في عمق الأدب الحديث.

غياب دراسة أكاديمية، خاصة بشخصية "باسم خندقجي" كرائد من رواد الثقافة الفلسطينية.

خوض تجربة البحث عن الوجود تحت ضغط الاستعمار، عبر أحداث تاريخية فلسفية كواقع.

منهج الدراسة المعتمد:

هذه الخطة فرضت علينا إتباع المنهج السيميائي، لدوره في تحليل الرموز والدلالات، وأيضا المنهج الفلسفي في تناول مفهومي الهوية والوجود، إضافة إلى المنهج التحليلي الوصفي، الذي اعتمدنا عليه في تحليل شخصيات الرواية، ووصف أهم المحطات التي تطرقنا إليها في الرواية.

مقدمة:

الدراسات السابقة:

تعتبر الدراسات السابقة في البحث الأدبي مهمة للباحث، بحيث تساعده وتعمل على تزويده بالمفاهيم الضرورية التي يحتاجها أثناء سير بحثي، من هنا كان لزاما علينا أن نستعين ببعض الدراسات السابقة من أجل فهم تصوري لإشكالية الهوية والوجود، ومن بين هذه الدراسات: جماليات الهوية في الرواية العربية المعاصرة لعلياء الداية.

كما اعتمدنا في إنجازنا لهذا البحث، على مجموعة من المصادر والمراجع كان من أهمها:

خطاب الهوية لعز الدين باي

مسألة الهوية لمحمد عابد الجابري

الهوية لألكس مكشللي ترجمة على وطفة

الوجودية مذهب إنساني لجان بول سارتر

بالإضافة إلى مصادر ومراجع أخرى

الصعوبات:

اعترضتنا في دراستنا لهذا البحث بعض الصعوبات كون المصادر التي تصبو في موضوع سؤال الهوية الوجود في الرواية العربية المعاصرة قليلة، ونظرا للطابع الفلسفي العميق الذي تطلب منا الإلمام بالمرجعيات الفلسفية، هذا ما شكل تحديا لنقص الزاد المعرفي الفلسفي في هذه المجلات، كما أن أغلب الكتب التي تخص دراسة الهوية والوجود غير قابلة للتحميل، وأيضا نقص المادة المعرفية التي عالجت مواضيع الكاتب الأسير "باسم خندقجي".

وصفوة القول "حمدا لله وثنائه" على إعانته سبحانه على إنجاز هذا البحث، آملين أن نوفق في الوصول إلى ما نصبو إليه والله ولي التوفيق عليه نتوكل وإليه ننيب.

مقدمة:

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل محمد شوقي زاوي على الملاحظات الدقيقة والتوجيهات السديدة التي قدمها لي، فله مني فائق التقدير والاحترام متمنيا أن أكون وفيت إرشاداته واستثمرت المعرفة التي أمددني بها في دراستي.

تمهيد:

شهد العالم تغييرات سريعة في مجالات متعددة مثل الفكر والثقافة، مما كان له أثر واضح على الطريقة التي يتشكل بها وعي الأفراد والمجموعات تجاه أنفسهم والعالم المحيط بهم، هذا الواقع المليء بالتحديات والمعروف بمظاهر الانفصال والانكسار وفقدان الثوابت، أعاد طرح مجموعة من الأسئلة المهمة التي تتعلق بالوجود والانتماء والمصير، بالإضافة إلى ذلك لم يكن الأدب بعيدا عن هذه المخاوف، بل أصبح ساحة حيوية للتفاعل معها، حيث عكست الروايات حالات من الصراع الوجودي، والشك في المعنى، والانكسارات الداخلية التي الإنسان، في هذا الإطار ظهرت الرواية كأداة تعكس عمق الأزمة التي يعيشها الفرد، كونها فنا يسمح بالتعمق في النفس، واستكشاف التجارب والتفكير في القلق والضياع، ولم تعتبر هذه المشاكل حالات منعزلة، بل تعبيرات أصابت الإنسان في جوهر رؤيته للعالم ونفسه، ومع مرونتها في الشكل وقدرتها على التعبير عن الواقع بأبعاده المختلفة، تمكنت الرواية من متابعة هذه التغيرات الكبيرة، ومعالجة تجليات الصراعات الداخلية التي يواجهها الفرد في بيئته، وتقديمها في فضاء تخيلي يمكن القارئ من الغوص في الأسئلة الأساسية التي تشغل النفس الإنسانية، وتندرج الرواية العربية ضمن هذا السياق العام، حيث لم تكن بعيدة عن هذه القضايا الجوهرية، بل تفاعلت معها وفق خصوصياتها الاجتماعية والثقافية، إذ حاولت أن تخاطب القلق الوجودي الذي يعانيه الفرد العربي في ظل التغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية، ومع الإخفاقات المتكررة لمشاريع النهضة، والانكسارات المتتالية التي أثرت على الوعي الجماعي، أدى هذا الواقع العربي إلى ظهور شخصيات روائية مضطربة تبحث عن هويتها، ومكانها في عالم تتسارع فيه التغيرات، في حين أصبحت الرواية المعاصرة ساحة للمواجهة بين الداخل والخارج، بين ما يأمل الفرد فيه وما يعيشه في الحقيقة، هذا القلق يعبر عنه من خلال اللغة والشخصيات والتلاعب الزمني، والتقنيات السردية التي جميعها تعمل على مستوى السياق الذي يفصل بين الواقع وما يجب أن يكون، فتتحدث الرواية هنا عن الأسئلة من دون تقديم إجابات محددة، بل توفر مساحة لاستكشاف الأسئلة، وتجعل الذات تواجه أسئلتها المعقدة.

تمهيد:

وتزايدت حدة هذا الانشغال بفعل تداخل العوامل الذاتية والموضوعية، حيث أصبح من الصعب فصل أزمة الذات الفردية عن الأزمة العامة التي تؤثر على المجتمع بأسره، إذ إنهما يمثلان وجهين مختلفين لعملة واحدة، فأصبح السرد الروائي حقلًا ثريًا يكشف تفاعلات الذات مع واقعها، ومواجهتها بين ذاكرة مثقلة بالخسائر وآمال تصطدم بواقع قاسٍ، كما نتج عن هذا الوضع روايات تستند إلى الغياب قدر ما تستند إلى الحضور، وتتعامل مع ما يصعب التعبير عنه، معتمدة على الرمزية ولغة غير مباشرة، وهيكل سردي مترابط ينقل القارئ من السطح إلى الأعماق، وتناقش هذه الأسئلة ضمن نصوص تجمع بين الشخصية وحياة المجتمع، وتتداخل فيها الأمور اليومية مع الفلسفة العميقة، مما يجعل الرواية مجالًا حيويًا لإطلاق الأسئلة الوجودية الكبرى التي لم تعد تقتصر على الفلسفة وحدها، بل وجدت لها مكانًا داخل الأدب، وأصبحت تعبر عن قلق الإنسان المعاصر في صورته الفردية، حيث تتفكك الثوابت ويفقد المعنى، وتتدهور العلاقات ويتلاشى الإحساس بالانتماء، في هذا الإطار تحولت الرواية إلى مساحة تأمل، ومرآة للتجربة الإنسانية في أضعف لحظاتها.

بينما تعتمد بعض الروايات على حبكة واضحة وأحداث متسلسلة، فإن الرواية المعاصرة غالبًا ما تتخلى عن هذه البنية التقليدية، مما يتيح الفرصة لتشظي السرد واختلاف الأصوات، والخروج عن التسلسل الزمني العادي، مما يعكس حالة عدم اليقين والتوتر والانقسام الداخلي الذي يعيش فيه الفرد، إذ تعد رواية تأتي من قلب الألم، ومن منطقة الأسئلة بدلاً من الأجوبة، متماشية مع الرؤية الفلسفية المعاصرة التي ترى أن الوجود ليس سهلًا، بل هو تجربة معقدة مفتوحة على عدم الثبات واللانهائية.

وما يعزز هذه الرؤية أن سؤال الوجود لم يعد مجرد تأمل فردي في المصير الشخصي، بل أصبح يتداخل مع أسئلة الهوية والانتماء، خصوصًا في السياقات الثقافية والسياسية التي تشهد فيها الحدود بين "الأنا" و"الآخر" تداخلًا واضحًا، وبين الداخل والخارج تزايدًا في الاتصال، حيث باتت الهوية ساحة للصراع والتفاوض والتغير، ولم تعد كيانًا ثابتًا، بل أصبحت مشروعًا سرديًا يتحول ويتشكل داخل النص كما يتشكل خارجه، لذا فإن أي دراسة

تمهيد:

تهدف إلى فهم كيفية تطور سؤال الهوية والوجود في النص الروائي، لا تكتفي بمراقبة الظواهر أو تحليل المحتوى، بل تبدأ من منظور تفكيكي يعيد النظر في الأنظمة وطرق التمثيل، وكيفية بناء المعنى داخل الرواية، هنا لا يُنظر إلى النص الأدبية كإنعكاس للواقع، بل كفضاء لتحليل الأسئلة وإعادة بناء التصور الإنساني حول النفس والعالم.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي.

المبحث الأول: مفهوم الهوية والوجود.

1.تعريف الهوية:

الهوية الثقافية في السياق العربي.

2.تعريف الوجود:

أ/ الوجود في الفلسفة الوجودية.

ب/ الوجود في الأدب: بين الذات والآخر.

المبحث الثاني: الأدب وسؤال الهوية والوجود.

1.الأدب كوسيلة للتعبير عن الأسئلة الفلسفية.

2.مفهوم الهوية الأدبية في الرواية العربية.

3.نماذج من الروايات العربية التي تناولت سؤال الهوية والوجود.

المبحث الثالث: باسم خندقجي وسياقه الأدبي.

1.نبذة عن باسم خندقجي:

أ/ سيرته الأدبية.

ب/ اهتمامه بالقضايا الفلسفية والإنسانية.

ج/ موقع رواية " قناع بلون السماء" ضمن أعماله.

مفهوم الهوية والوجود:

1/ تعريف الهوية:

يعد مصطلح الهوية من المفاهيم الشائكة التي أثارت جدلا واسعا بين الفلاسفة والباحثين، اذ نجدها تشير الى عدة معاني ومفاهيم، حيث اختلف الفلاسفة في تعريف مصطلح الهوية إذ تعرف في:

لغة: الهوية مشتقة من فعل: "هوى، هوة، وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة" [1].

و الهوية مصدر صناعي من كلمة هو، لدلالة على أن الشيء هو هو، وليس غير، أو بأنه هو هو ثم يصدر شيئا آخر، "وهي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها، مثل: هوية الأنا"[2].

اصطلاحا: اذا بحثنا في دلالة الهوية في اللسان الفرنسي، وفق معجم لا لاند فإنها تدل على الميزة الثابتة في الذات، أو هي ميزة فرد أو كائن، يمكن من خلال هذا الوجه تشبيهه بفرد يقال عنه أنه متماه، أو أنه في مختف فترات وجوده "هوية الأنا"[3].

اسم الهوية ليس عربيا في أصله و انما اضطر اليه بعض المترجمين، واسم الهوية ليس مرادفا لاسم الوحدة والوجود، حيث يقول صليبا: "هوية الشيء عينه، وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، و الهوية سارية في جميع الموجودات."[4]

كما يطلق مفهوم الهوية على نسق من المعايير التي يعرف بها الفرد، وينسب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة، كما أنه من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة، ولاسيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي،

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادرة، بيروت، ط2، ص374.

[2] محمد يعقوبي، **معجم الفلسفة**، دار الكتاب الحديث، القاهر، ط1، 2008، ص174.

[3] أندريه لا لاند، **موسوعة لا لاند الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر بيروت، 2012، ص607.

[4] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص530/529.

ويعد من أكثر المفاهيم تغلغلا في حياتنا الثقافية، حيث يتسم بدرجة عالية من الصعوبة والتعقيد، لأنه متنوع في دلالاته واصطلاحاته، "فهي لا تولد دفعة واحدة انما تولد وتنمو وتتكون وتتغاير وتشيخ وتعاني من أزمات الوجودية والاستلاب".[1]

الهوية الثقافية في السياق العربي:

يمكن تعريف الهوية الثقافية والحضارية بأنها "القدر الثابت والجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة، التي تمير حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تعطي للشخصية الوطنية أو القومية طابعا يتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى، كما تعد المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل وما ينبغي أن يأمل.

وهناك من يرى أن الهوية معناها في الأساس التفرد، والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وقيم ونظرة إلى الكون، ويرى الباحث أن " الهوية الثقافية هي كل ما يميز أمة عن أمة بكل ما تحمله من قيم وعادات وسلوكيات"[2].

فالهوية الثقافية هي كيان يسير ويتطور، وليس معطى جاهز ونهائي، فهي تسير وتتطور إما في اتجاه الانكماش، أو في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكهم سلبا أو إيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى، وعلى العموم تتحرك الهوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد وهي كما يلي:

[1] ألكس مكشللي، **الهوية**، ترجمة: على وطفة، الطبعة العربية الأولى، دمشق، 1993، ص7.

[2] أحمد علي كنعان، **الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة**، (دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق)، دمشق، 2008، ص420.

أ/ الفرد داخل الجماعة الواحدة: هي عبارة عن هوية متميزة، عبارة أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها، أن تصنع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر، القبيلة، المذهب أو الطائفة التنظيم السياسي أو الاجتماعي.

ب/ الجماعة داخل الأمة: فلكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة أي لكل منها أنا خاص بها.

ج/الشيء نفسه يقال على الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى، غير أنها أكثر تجريدا وأوسع نطاقا وأكثر قابلية عن التعدد والتنوع والاختلاف، ويمكن تحديد بعض ملامح الهوية الثقافية وهي مجموعة من الملامح الثقافية الخاصة بجماعة سياسية واحدة بما يميزها عن غيرها من الجماعات، وكذا وجود علاقة بين الهوية والثقافة " فالثقافة هي التي تشكل الهوية وهي التي تعطي الاسم والمعنى والصورة، أي هي التي تجعل جماعة متميزة أو مختلفة عن الجماعات الأخرى"[1].

2/ تعريف الوجود:

لغة: جاء في معجم لسان العرب "و، ج، د" وجد مطلبه والشيء يجده وجودا، "ووجد الشيء عن عدمه، فهو موجود"[2].

كما نجد أيضا في " قاموس المحيط وردت لفظة "وجد" المطلوب"[3].

---

[1] سامية عزيز، عمر محمودي، "**دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ورقلة، 2011، ص713.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت: لبنان، مجلد3، ط1، سنة 1990، ص445.

[3] الشافعي الفيروز بادي الشيرازي، **المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، مجلد1، ط1، 1999، ص600.

ووجد: من العدم، كغني، فهو موجود، ولا يقال: "وجد الله تعالى وإنما يقال: أوجده الله تعالى"[1].

اصطلاحا: إن لفظ الوجود في اللغة العربية يفيد معنى الحضور، فيقال إن فلان موجود بمعنى أنه حاضر، وهو لفظ يقابل لفظ الغياب، وقد نقل اللفظ إلى معنى آخر هو الكون أو العالم فأصبح لفظ الوجود رمزا اجتماعيا للكون بكل ما فيه، باعتبار أن الكون يفيد دائما معنى الحضور وعدم الغياب عن البصر أو البصيرة، ثم نقل اللفظ إلى الفرد فلم يعد مقصورا على الكون، ولعل مرد ذلك أن الانسان كان دائما في الفكر البشري رمزا للكون ودليلا على قيامه، ومن جانب آخر فإن عدم الغياب ينصرفان بادئ ذي بدء إلى الفرد حين يراد إثبات الحضور، ومن ثم يقال إنه موجود.

وهكذا أصبح لفظ الوجود في اللغة العربية معنى على الكون من جهة، وتعبيرا عن عالم الفرد الخاص من جهة ثانية.

ومن جهة أخرى نجد أن الإنسان يسعى لإثبات وجوده، وذلك بإبراز مكانته وكيانه المستقل، وهذا ما تتبناه الفلسفة الوجودية، التي تعلي من قيمة الإنسان إلى مكانة التأليه، فهو الكائن الوحيد القادر على اختيار ماهيته وحقيقته دون واسطة أي قوة أخرى "إله"، حيث يؤمنون بالفكرة القائلة:" الوجود سابق الماهية "، فالإنسان سابق لماهيته.

أ/ الوجود في الفلسفة الوجودية: (سارتر، هايدغر).

يرى الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر أن الإنسان هو الكائن الحر المسؤول عن اختيار ماهيته، فيقال:" بأن الوجود سابق الماهية" أي أن الموجود أو الكائن الحي يصنع

[1] الشافعي الفيروز بادي الشيرازي، المرجع نفسه، ص601.

نفسه عندما يقف من الأشياء الموقف الخاص به، ويقول سارتر مفسرا المعنى أن الوجود سابق للماهية "أن الإنسان أولا ويلاقي نفسه، وينبثق في العالم ويعرف نفسه بعد ذلك"[1].

ومن هنا نجد أن سارتر يحصر مفهوم الوجود في القول بأن وجود الإنسان متقدم على ماهيته، وأنه مطلق في حريته يضع نفسه بمحض اختياره كيفما يشاء، ويملأ وجوده على النحو الذي يناسبه.

ويرى أيضا أن الوجود يكون من خلال الجزم بأن الوجود سابق عن الماهية وهذا المثال جاء في المحاضرة التي ألقاها عام 1945 بعنوان الوجودية نزعة إنسانية يقول: " إن الوجودية الملحدة أكثر دقة في تمسكها بأنه لو كان الله غير موجود فهناك كائن واحد على الأقل يأتي وجوده قبل ماهيته، كائن يوجد قبل أن يتحدد وفق أي تصور هذا الكائن هو الإنسان."[2]

خلال هذا يريد سارتر أن يؤكد فكرة على حد فهمنا وهي أسبقية الوجود عن الماهية، وأن الله غير موجود، وهذا ليس بجديد علينا، فنحن نعلم مسبقا وكما أوضحنا فسارتر من الفلاسفة الملحدون ومن ذلك فالكائن الوحيد الذي وجوده سابق على ماهيته هو الإنسان ووجوده هو القيمة الأولى لديه.

كما يؤكد الفيلسوف الوجودي مارتن هايدغر، أن الوجود الفردي للكائن متقدم على الأشياء، وعلى أي وجود آخر هذا ما يجعل هايدغر يرى أن هذا الكائن الذي يطرح نفسه كنمط في الوجود وليس كنمط في المعرفة قادر على أن يحدد ذاته ، حيث يقول :" إن الكائن الذي

---

[1] عثمان نويه، **المفكرون من سقراط إلى سارتر**، مكتبة الانجلو المصرية، 1970، القاهرة، ص531.

[2] موريس كرانستون، **سارتر بين الفلسفة والأدب**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 2002، ص68.

صار تحليله مهمة برأسها، نحن أنفسنا نكونها في كل مرة، إن كينونة هذا الكائن هي لي في كل مرة".[1]

ويضيف هايدغر بأن معنى الكينونة في كينونة الوجود الإنساني، أو ما يطلق عليه بمصطلح "الدزاين"، حيث يقول:" ماهية الدزاين تكمن في وجوده"، أي هو الكائن الذي يمارس وجوده وفقا للتجدد والاستمرار، فهي خاصية إنسانية تميزه عن بقية الموجودات، أي أنه الكائن الوحيد الذي يعي ما يفعله، وبذلك لا تعتبر لفظة الدزاين التي نشير بها عن الكائن عن ماذا هو مثل: المائدة والدار والشجرة، بل عن كينونته أي أن ممارساته الفعلية التي تثبت وجوده وهويته.

ثم يتكلم هايدغر عن الآخرين وهو لا يقصد كل البقية خارج نفسه، بل الآخرون هم الذين لا يميز المرء نفسه غالبا عنهم، والذي بينهم يكون المرء هذه الكينونة، وهذه المعية من جنس الدزاين، "كما أن هذه المعية ليس لها علاقة بالمعنى المادي أو الحضور العددي للآخرين، بل هو معنى وجداني يدخل في نمط كينونة الدزاين داخل العالم"[2].

يرى هايدغر بأن الكائن يستطيع أن يكون كينونته وذلك بوجوده مع الآخرين، فالآخر صانع للوجود، مادام الأنا يصنع وجوده، والانا في هو مع الآخر، ومنه فهو لا يميز نفسه عن الآخرين بل هو جزء لتحقيق الكينونة والهوية الجماعية مرتبطة بالحضور المعنوي الوجداني في مقابل الحضور المادي.

ب/ الوجود في الأدب: بين الذات والآخر.

يعد الوجود من أكثر القضايا الفلسفية والإنسانية تعقيدا، حيث يرتبط بفهم الإنسان لنفسه وللعالم المحيط به في الأدب، تأخذ هذه الفكرة أبعادا أعمق من خلال العلاقة الجدلية بين الذات والآخر، إذ أن وجود الإنسان لا يتحقق بشكل كامل إلا من خلال إدراكه بوجود

[1] مارتن هايدغر، **الكينونة والزمان**، ترجمة: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت: لبنان، ط1، 2012، ص117.

[2] المرجع نفسه، ص240.

الآخرين من حوله، وفي كثي من الأعمال الأدبية يكون الآخر هو المرآة التي تعكس الذات فهو الذي يحدد معالم الهوية ويشكل إدراك الفرد لنفسه، " وانطلاقا من العلاقة الوثيقة بين الوجودية والأدب، دخل جون بول سارتر ميدان التأليف الأدبي" لأن الأديب الوجودي يتكلم بقلمه من خلال تأثره بمجتمعه، وعليه أن يكون ملتزما بالقضية التي يدافع عنها وأن يكون مأمنا بها، وهذا لا ينطبق فقط على الأديب الوجودي بل على كل صاحب فكرة أو قضية ما. وتتجاوز تجربة الأدب الوجودي الصراع بين الفرد والآخر، إذ تتوغل في أعماق النصوص لتطرح تساؤلات حول طبيعة الذات نفسها: هل يمكن للذات أن تدرك نفسها بمعزل عن الآخرين؟ هل الآخر مجرد صورة منعكسة أم عنصر أساسي في تشكيل الهوية؟ هذه التساؤلات تتداخل مع قضايا كبرى كحرية الفرد، والشعور بالغربة، والانتماء، وتحمل المسؤولية، وغالبًا ما تكون الشخصيات الأدبية عالقة بين رغبة في الأصالة المفقودة والسعي للتجاوز نحو آفاق جديدة، في مسار يعكس مأساوية وتعقيد الوجود الإنساني، ومن العلاقة بين الفرد والآخر في الأدب، يظهر التوتر المستمر بين الرغبة في الاندماج والخوف من الذوبان، وبين الحاجة للاعتراف والقلق من فقدان الهوية. هذا التوتر هو الذي يغذي الحركة الدرامية للنصوص ويضيف عليها حيويتها، فالذات أثناء محاولتها لتعريف نفسها، تواجه هشاشتها وتجد نفسها مضطرة للتفاوض مع صور متعددة للآخر، سواء كان محبوبًا أو معاديًا، متفهمًا أو رافضًا.

وقد كتب جان بول سارتر 1945 شروط لخص فيها الأديب الوجودي:

"الأديب له موقف في عصره وله كلمته المأثرة، بالمقابل صمته يعتبر موقفا مأثرا دبي ومعه رفيق عمره سيمون دي بفوار"[1]

[1] د. نبيل راغب، **المذاهب الأدبية الكلاسيكية إلى العبثية**، المكتبة الثقافية، الأردن، ص155.

" الفلسفة الوجودية تطابق بين الذات والمجتمع، فالوجودي يكتب للمجتمع من خلال تجربته، الكاتب الوجودي يدافع عن قضيته بكل قوة"[1].

مما لا شك فيه أن الوجود في الأدب هو عملية ديناميكية لا تصل للأمان، حيث تتداخل الأصوات وتتصادم الرؤى، ليكشف النص عن مأساة الكينونة الإنسانية في سعيها الدائم لفهم ذاتها من خلال الآخرين، إن هذا الحوار الدائم بما يحمله من توتر وإبداع، هو ما يجعل الأدب ساحة حيوية لتجربة الوجود بكل ما فيها من ألم وأمل، ومن غربه وانتماء.

الأدب وسؤال الهوية والوجود:

يعبر الأدب عن عديد الأسئلة التي تراود الإنسان، وأبرزها السؤال الأساسي لوجوده، منذ بداية الإبداع البشري كان الأدب هو الأسلوب الرئيسي الذي استخدمه الإنسان وساهم في قلقه من الوجود ورغبته في فهم نفسه وموقعه في العالم، ومع مرور الوقت أخذنا في تزايد بالأسئلة المتعلقة بسؤال الهوية والوجود، وأصبح هذا السؤال أكثر تداولا، وخاصة في الإطار الاجتماعي والسياسي. فالأدب لا يكتفي بتقديم إجابات متعددة فقط، بل يتعمق في صراعات الشخصيات الداخلية وتوتراتها بمحيطها، مما يكشف عن جوانب للهوية والعناصر الجماعية والوطنية والوجودية، وبالتالي الأدب ليس مجرد سرد للأحداث، بل مجالًا لتحليل الوجود واستكشاف ضعفه، ويمثل رحلة البحث عن الذات والمعنى في عالم شديد الاضطرابات، من هذا التوجه يصبح السؤال والوجود عنصرًا أساسيًا يفهم العديد من الأعمال الأدبية والمعاصر.

1/ الأدب كوسيلة للتعبير عن الأسئلة الفلسفية:

إن الأدب ليس مجرد سرد قصصي أو تصوير للحياة، بل يمكن أن يكون وسيلة قوية لنقل الأفكار الفلسفية، فنجد العديد من الأدباء والفلاسفة استخدموا الأدب كوسيلة لتجسيد أفكارهم الفلسفية أمثال "ألبير كامو" حيث استخدم الأدب في رواياته مثل: الغريب،

[1] عبد الرزاق الأصفر، **المذاهب الوجودية لدى الغرب**، اتحاد الكتاب العرب، على الأنترنت، ص185.

الطاعون، لتصوير أفكاره العبثية والوجودية، من خلال شخصياته وحبكاته، إذ يعبر عن مشاعر الإنسان في مواجهة عدمية العالم، والطريقة التي يحاول بها الأفراد إيجاد المعنى لحياتهم في غياب يقين مطلق.

والأدب يسمح للفلسفة بالخروج من جمود النصوص النظرية إلى حياة البشر اليومية من خلال الأدب، يمكن أن تتجسد في شخصيات وأحداث، مما يجعل الأفكار الفلسفية أكثر وصولا وتأثرا، فالقصص والشخصيات تعطي الفلسفة شكلا ملموسا، مما يسهل على القارئ العادي استيعاب الأفكار المجردة.

2/ مفهوم الهوية الأدبية في الرواية العربية:

يعد موضوع الهوية من أهم المشكلات الفاعلة التي عالجتها الرواية العربية، فالهوية الأدبية في الرواية العربية هي الحالة الموضوعية أو الذاتية لإدراك الشخص بكونه عربي، ونجد أن مسألة الهوية واحدة من أهم موضوعات الرواية العربية و قضاياها، وذلك لما يشهده المجتمع ونخبه من حياة تمزق بين التبعية للغرب القوي معرفيا وثقافيا واقتصاديا، وبين إحساس ذاته بمتانة تراثها وعمق جذورها في التحضر، وقد تولد عن ذلك ثلاث مواقف أساسية: موقف ينادي بالتوجه نحو الغرب والثاني ينادي بالتمسك بالجذور كما هي، والثالث يسعى إلى التوفيق بينهما من خلال القول بالأخذ بمحاسن ومزايا الغرب وعدم التخلي على قيم المجتمع العربي، وقد ظهرت هذه المسألة وصراعات اتجاهاتها الثلاث منذ بداية الرواية العربية،" كما في حديث" عيسى بن هشام" الذي دمج مستوى التعبير التراثي بالمستوى القصصي الحديث، القادم من الثقافة الغربية كرؤية حضارية مبنية على التفاعل بين القديم و الجديد"[1].

[1] عز الدين باي، **خطاب الهوية**، في رواية مالا تذروه الرياح، دراسات جزائرية، مختبر الخطاب الأدبي الجزائري، جامعة وهران، ع3، مارس 2006، ص110.

" حتى قنديل أم هشام ليحي حقي، ثم موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح التي أبرزت الصراع العميق بين الانا والآخر، وما يحملانه من قيم تريد أن تتناقص"[1]، وغيرها من الروايات العربية التي عالجت هذه المسألة الحضارية.

3/ نماذج من الروايات العربية التي تناولت سؤال الهوية والوجود:

سؤال الهوية والوجود من أكثر الأسئلة الفلسفية حضورا في الأدب العربي خاصة مع تحولات المجتمع، وهنا مجموعة من الروايات العربية التي تناولت هذا السؤال بعمق:

"موسم الهجرة إلى الشمال" للكاتب الطيب صالح، تعالج الرواية أزمة الهوية لدى الشخصية العربية بعد الاستعمار، "حيث يعاني البطل من صراع داخلي بين الثقافة الأصلية والغرب الذي انبهر به واصطدم به لاحقا، هذه الازدواجية تولد توترا وجوديا"[2].

"رجال في الشمس" غسان الكنفاني، تكشف الرواية عن ضياع الهوية الفلسطينية في الشتات، "وتطرح سؤال الوجود من خلال تصوير عبثية الموت المجاني والصمت في وجه القهر، حيث يفشل البطل في اتخاذ موقف وجودي واضح "[3].

"الطريق" نجيب محفوظ، "تدور الرواية حول بحث الانسان عن الجذور والمعنى، ويتطور السؤال تدريجيا من سؤال عن الأب إلى سؤال عن الذات والمصير"[4].

"شرق المتوسط" عبد الرحمن منيف، تعكس الرواية معاناة المثقف العربي في مواجهة الاستبداد السياسي، "وتطرح الهوية كسؤال أخلاقي وجودي مرتبط بالحرية والكرامة الإنسانية"[5].

---

[1] خديجة مدقن، **المكان في موسم الهجرة إلى الشمال**، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع7، 2006، ص227.

[2] صالح الطيب، **موسم الهجرة إلى الشمال**، بيروت، دار العودة، 1966

[3] غسان كنفاني، **رجال في الشمس**، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1963

[4] نجيب محفوظ، **الطريق**، القاهرة، دار مصر للطباعة، 1964

[5] عبد الرحمن منيف، **شرق المتوسط**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1975

باسم خندقجي وسياقه الأدبي:

1/ نبذة عن باسم خندقجي:

باسم صالح محمد أديب خندقجي كاتب و أسير فلسطيني من مواليد 1983،درس المرحلة الابتدائية في مدرسة المعري الأولى، وانتقل إلى مدرسة الملك طلال وحصل منها على الشهادة الثانوية، وبدأ الدراسة في جامعة النجاح الوطنية في قسم الصحافة والإعلام، أعتقل من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلية في 2تشرين الثاني/نوفمبر 2004، على اثر تنفيذ المقاومة عملية فدائية في سوق الكرمل في الحي التجاري بمدينة "تل أبيب" قتل على إثرها ثلاث إسرائيليين وجرح أكثر من خمسين منهم، كان "باسم خندقجي" ضمن من اعتقلتهم القوات الإسرائيلية بتهمة التخطيط لهذه العملية وتنفيذها، وقد تم اعتقاله قبل تخرجه من الجامعة، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، كما حكمت عليه محكمة الاحتلال بدفع 11,6 مليون دولار تعويضا لعائلات القتلى، وتم سجنه في سجن "هيدا ريم"، ومن السجن أكمل "خندقجي" دراسته في جامعة القدس، وكانت رسالة تخرجه عن "الدراسات الإسرائيلية في العلوم السياسية"، وذلك بالتزامن مع بدايات إبداعه الأدبي في الرواية والشعر، له عدة دواوين شعرية وروايات كتبها من داخل سجون الاحتلال، وآخر رواياته "خسوف بدر الدين"، حصل على الجائزة العالمية للرواية العربية للبوكر عام 2024 عن روايته "قناع بلون السماء"[1].

أ/ سيرته الأدبية:

بدأ باسم رحلة الكتابة داخل السجن من خلال كتاباته "مسودات عاشق وطن"، وهي عبارة عن عشر مقالات تحكي عن الهم الفلسطيني، وأيضا "وهكذا تحتضر الإنسانية" وهي عبارة عن تجربة الأسير الفلسطيني داخل السجون وهمه اليومي، وأيضا من كتابته ديوان شعر بعنوان "طرق على جدران المكان" و "شبق الورد إكليل العدم"، وأيضا دراسة عن المرأة

[1] الكردوسي الهام، **جائزة البوكر 2024 تذهب للكاتب الفلسطيني الأسير باسم خندقجي**، الوطن، مؤرشف2024/04/28.

الفلسطينية وكتاب " أنا الإنسان نداء من الغربية الحديدية"، وروايات :" مسك الكفاية: سيرة سيدة الظلام الحرة" و "نرجس العزلة"، وروايته " خسوف بدر الدين" رافضا من خلالها التذلل للسلطة ولعب دور الببغاء، والتي صدرت في عام 2018 عن دار الآداب، وفي 2023 صدرت له رواية بعنوان "قناع بلون السماء" والتي حصلت على الجائزة العالمية للرواية العربية البوكر في أفريل 2024.

ب/ اهتمامه بالقضايا الفلسفية والإنسانية:

يعد "باسم خندقجي" من أبرز الأصوات الأدبية الفلسطينية المعاصرة التي حملت الهم الإنساني والفلسفي من داخل زنازين الاحتلال، حيث تحولت تجربته في الأسر إلى فضاء تأملي عميق في قضايا الوجود والحرية و العدالة، لا يكتب خندقجي عن الألم بوصفه شكوى، بل كحالة وجودية تستدعي التأمل، فيمنح للقيد بعدا فلسفيا يتجاوز الواقع المباشر، في رواياته "قناع بلون السماء" كما في أعماله الشعرية، تتجلى تساؤلاته حول هوية الإنسان ومصيره في عالم مضطرب، حيث تصبح الحرية مفهوما داخليا، والعدالة قيمة تبحث عن توازنها بين التجربة و المعنى، يطغى على نصوصه نفس صوفي يظهر الذات ككيان يتطهر من خلال المعاناة، وينتصر بجوهرها الإنساني عبر التأمل والعزلة، هذا ما جعل "باسم" من الأسر محاربا للكتابة ومن المعاناة مشروعا فكريا وإنسانيا متجددا.

ج/ رواية قناع بلون السماء ضمن أعمال باسم خندقجي:

رواية "قناع بلون السماء" التي " فاز عنها خندقجي بالجائزة العالمية للرواية العربية عام 2024"[1]، تحكي قصة "نور" الشاب الفلسطيني الذي اكتشف هوية إسرائيلية داخل معطف اشتراه من سوق الألبسة المستعملة، ثم بدأ يخوض حوارات وهمية في مخيلته مع صديقه "مراد" المحكوم بالسجن المؤبد، وتعرف بعدها على فتاة فلسطينية "سماء" التي شاركته عمله ومعركته الثقافية.

[1] عبد الله عمران، **قناع بلون السماء للأسير الفلسطيني باسم خندقجي تفوز بالجائزة العالمية للرواية العربية 2024**، الجزيرة نت، مؤرشف2024/04/28.

انتقل باسم بشخصيات الرواية بين مواضيع الهوية والعنصرية والسجون والحرب، والعلاقات الإسرائيلية الفلسطينية، وقدم صور مختلفة عن الأسير الفلسطيني، وعن تعقيدات الهوية في الصراع العربي الإسرائيلي.

كما ركزت الرواية على التاريخ والثقافة والهوية، مع انتقادات للممارسات الإسرائيلية العنصرية، وشرح مفصل لتعقيدات الحياة تحت الاحتلال والهويات المتعددة التي يمكن أن تتحول إلى قناع.

تمت كتابة الرواية من داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي، مما يمنحها بعدًا رمزيًا وأخلاقيًا قويًا في مواجهة القمع من خلال الكتابة.

تعتبر هذه الرواية نقطة انطلاق لمشروع أدبي أوسع يُعرف باسم "رباعية المرايا"، الذي يسعى إلى تحليل الخطاب الصهيوني وتعزيز السرد الفلسطيني من وجهات نظر جديدة إنسانية وفكرية، وتمثل رواية "قناع بلون السماء" تمثل ذروة نضج السرد الأدبي، إذ تجمع بين التقنية العالية والرؤية الفكرية، والتجربة الوجودية للأسير.

أعلن عن فوز رواية باسم خندقجي بالجائزة يوم 28 أفريل/نيسان 2024، تسلمتها بالنيابة عنه مالكة دار الآداب رنا إدريس.

الفصل الثاني: تحليل سؤال الهوية في "قناع بلون السماء".

الفصل الثاني: تحليل سؤال الهوية في "قناع بلون السماء".

المبحث الأول: الهوية الفردية والجماعية.

1/ تحليل شخصيات الرواية:

أ/ صراع الشخصيات مع ذاتها.

ب/ العلاقة بين الفرد والمجتمع.

2/الهوية الثقافية والوطنية في الرواية:

كيف تنعكس أحداث الرواية على الهوية الوطنية؟

المبحث الثاني: جدلية الذات والآخر.

1/مفهوم الآخر في الرواية.

أ/ الآخر كتهديد للهوية.

ب/ الآخر كمرآة للذات.

2/استكشاف علاقة الشخصيات بالآخر (المجتمع، السلطة، المنفى).

المبحث الثالث: الرموز والدلالات المتعلقة بالهوية.

1/تحليل الرموز المتعلقة بالهوية في الرواية.

أ/ القناع ودلالاته.

ب/ السماء كرمز للأفق والحرية.

2/كيف تستخدم هذه الرموز لطرح سؤال الهوية؟

الهوية الفردية والجماعية:

تعتبر الهوية الفردية والجماعية من أهم القضايا التي تطرق إليها الأدب عبر العصور، فهي تمس جوهر الإنسان وعلاقته بنفسه وبمجتمعه الذي يعيش فيه، إذ نجد أن الهوية الفردية تمس التعبير عن الذات والتفرد بها، بينما الهوية الجماعية تشير إلى انتماء الفرد إلى الوطن أو ثقافة او تشارك مجموعة في العادات والتقاليد، ويتأثر كل منهما بالظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية، وفي كثير من النصوص يظهر صراع بين رغبة الفرد في الحفاظ على خصوصياته، وبين الحاجة إلى الاندماج في الجماعة، ومن خلال هذا الصراع يعالج الأدب مجموعة من الأسئلة تدور حول الانتماء والحرية وحدود الذات داخل الجماعة، وهكذا تصبح قضايا الهوية الفردية والجماعية دراسة أساسية لفهم الإنسان.

1/ تحليل شخصيات الرواية:

تعد رواية "قناع بلون السماء" للروائي الفلسطيني الأسير "باسم خندقجي"، من الأعمال الأدبية التي تلامس العمق النفسي والوجودي للإنسان، حيث لا تكتفي بسرد الأحداث بل تغوص في دواخل الشخصيات وتركيباتها النفسية والذهنية، تتسم شخصيات الرواية بكونها معقدة ومتعددة الأبعاد، تحمل في داخلها صراعات صامتة وتساؤلات كبرى حول الهوية والحرية والمعنى، وتحيلنا رواية "قناع بلون السماء" إلى الدواخل النفسية للشخصيات التي اختارها الكاتب لنقل صورة المأساة التي تعترض الفلسطينيين جاعلا من شخصية "نور" الفلسطينية مركز حكايته، وهويته الملتبسة مركزا على سرد ذكريات حياته الأليمة، أمه "نورا" التي فارقت الحياة منذ ولادته، وأبيه "مهدي" رمز النضال والمقاومة ضد العدو الغاصب الذي أعتقل مرارا في السجون الإسرائيلية وذاق مرارته وعذابه، وما تعرض له من أهوال ونكبات، جعلته لاجئا مع عائلته في مخيم رام الله لا يحمل اسما بعد، "استغل أيضا درب آلامه الاعتقالية، ليحيلها إلى درب معرفة وثقافة تؤدي به إلى الحرية، جريته الداخلية على الأقل"[1].

[1] قناع بلون السماء، ص23.

هو فعل عسير، ليس في انتحال هوية الآخر الشخص الإسرائيلي فحسب، بل كذلك يعيش شخصيته تلك، وذلك ليس سهلا على الفلسطيني الذي هجر أهله وأقتلع من بيته، وصار لاجئا مع عائلته، ومسجلا تحت لافتة الإرهابيين والمخربين.

صديقه "مراد" المحكوم عليه بالمؤبد الذي قاوم معاناة السجن وقسوته بقلمه، ليتنفس حريته الداخلية يقول:" السجن كثافة يا صديقي "نور"... السجن كثافة... عبارة أطلقها محمود درويش في فضاء زنزانته الأولى أثناء حنينه لقهوة أمه وخبزها...لم ألتقط أسرار العبارة إلا عندما اشتد عودي في المعتقل"[1]، عبر "نور" عن معاناته لصديقه في رسائل واصفا أنه في سجن أكبر من سجنه الواقعي يعبر ذلك من خلال قوله:" كم أحسدك يا مراد على سجنك الأصغر...لأن واقعك الجديد هذا واضح الملامح مكون من معادلة بسيطة لكنها قاسية، سجن، سجين، سجان، ولكن في السجن الأكبر أمور لم تعد واضحة."[2]

"سماء إسماعيل" فلسطينية من حيفا، والتي تشارك في أعمال التنقيب وهي التي دائما

ما تواجه الإسرائيليين والأمريكيين بموقفها من هويتها، وتصرخ بها بوضوح، أنها فلسطينية عربية، وأن الهوية الإسرائيلية مفروضة عليها وأنها تتعاطف مع ضحايا النازية، ولكن ليس مع الصهيونية التي استغلت الضحايا لتصنع ضحايا آخرين من الشعب الفلسطيني.

أ/ صراع الشخصيات مع ذاتها:

يعتبر الصراع الداخلي عنصرًا رئيسيًا في رواية "قناع بلون السماء" للكاتب "باسم خندقجي"، حيث تواجه الشخصيات وعلى رأسهم "نور الشهدي" تحديات عميقة، إذ في كل لحظة من لحظات التأمل أو استرجاع الذكريات، يتوجب عليهم مواجهة ذواتهم، فالراوي لا

[1] قناع بلون السماء، ص23.

[2] قناع بلون السماء، ص50.

يقتصر على رسم شخصيات تعاني من قيد الاحتلال، بل يقدم شخصيات تكافح مع نفسيتها بشراسة، وتواجه خيباتها الداخلية كجزء من محاولتها لفهم الحياة والحرية والموت.

وفي الرواية يجسد "باسم" الصراع الداخلي للذات من خلال شخصية "نور"، الذي يتقمص هوية "أور شابيرا"، مما يضعه أمام أزمة هوية وجودية حادة، فليس التقمص مجرد تقنية سردية بل هو انعكاس لمأزق داخلي تعيشه الشخصية، ويقول في إحدى لحظاته:" قلت لك أنا لا أنتحلك...أنا أدركك...أتعلمك...أريد التعرف على كيفية قيامك بالنظر إلى الواقع وأحواله."[1] هذا التنازع بين الذات والأقنعة المفروضة عليها يبرز صراعا معقدا بين الانتماء القومي والمصير الفردي، ويعيد انتاج سؤال الهوية في السياق الاستعماري، كما يتجلى الصراع من خلال علاقة الشخصية باللغة، "إذ تنقسم هويته اللغوية بين العربية التي يسكنها والإنجليزية التي تطارده، والعبرية التي فرضها عليه واقعه الذي يعيشه، في دلالة على الانفصام الوجودي القسري"[2].

وفي لحظة أخرى يخاطب "نور" ذاته الأخرى قائلا:" السر يكمن بالمرآة، المرآة هي المعادلة، هي التفاصيل هي الكائنان أحدهما مسيطر والآخر خاضع، أنت أور مسيطر، وأنا نور خاضع...ولهذا يجب أن أحطم المرآة".[3]في تعبير واضح عن الرغبة في التحرر من القناع الذي غطى الذات، تمثل هذه اللحظات ذروة التوتر النفسي في الرواية، حيث تصل الهوية إلى نقطة الانفجار، وتتحول الذات إلى ساحة صراع بين ما هو مفروض وما هو أصيل، بين ذاكرة تقاوم ومصير يتشكل تحت القيد، وتطرح الرواية قضية الهوية عبر هذا الصراع النفسي، وتربط بين الحرية الخارجية والتحرر الداخلي، مما يوحي بأن المقاومة الحقيقية تنبع من الذات، ومن تلك المصالحة الصعبة مع الماضي وهشاشة الإنسان في مواجهة

[1] قناع بلون السماء، ص134.

[2] قناع بلون السماء، ص41.

[3] قناع بلون السماء، ص134.

ذاته، وقدرة الشخصيات على البقاء لا تأتي من العلاقات الخارجية، بل من مواجهتها المتعمقة لذاتها ولخياراتها ولأسئلتها المستمرة، و"نور" نموذج الإنسان المعذب الذي لا يبحث عن نجاة فردية، بل عن معنى إنساني شامل في وسط الظلام.

وتقدم رواية "قناع بلون السماء" عوالم شخصياتها من الداخل، وتعرض صراعاتها النفسية كجزء لا يتجزأ من الصراع السياسي والوجودي الأعم. إنها رواية الإنسان المحتجز، ليس فقط من خلال جسده، ولكن عبر ذاكرته وأسئلته وتاريخه الشخصي، مما يؤسس لهذا الحوار الأدبي العميق مع القارئ معنى الحرية في عالم يحمل قيودًا متنوعة.

ب/ العلاقة بين الفرد والمجتمع:

تجسد الرواية التي نحن بصدد دراستها العلاقة بين الفرد والمجتمع، من خلال تجربة "نور" الذي يجد نفسه مكرها على الانصهار في مجتمع إسرائيلي غريب عن هويته، وهو ما يضعه في مواجهة مباشرة مع السلطة الاجتماعية التي تسعى إلى إعادة تشكيل وعيه وتاريخه، يتوافق هذا التصور مع ما طرحه "ميشال فوكو" في تحليلاته حول آليات السلطة، حيث يرى أن المجتمع الحديث لا يقمع الفرد بالقوة المباشرة فقط، بل يمارس عليه "سلطة انضباطية" تعمل من خلال مؤسسات كالمدرسة والسجن واللغة والثقافة على قولبة الأفراد وإنتاج ذات خاضعة للمعايير المفروضة"،[1] وهكذا فإن "نور" لا يجبر فقط على ارتداء قناع هوية جديدة، بل يدفع أيضا إلى إعادة بناء نظرته لذاته ولمحيطه بما يتوافق مع متطلبات المجتمع الجديد، فالقناع هنا ليس مجرد وسيلة للتخفي، بل يحيل إلى الانضباط و الخضوع، هذا ما سماه "فوكو" بالذات المراقبة، "أي الفرد الذي يصبح موضوعا للسلطة ورهينة لتقنيات المجتمع في إنتاج الطاعة".[2] إن الرواية تطرح من خلال هذه الشخصية إشكالية فقدان الهوية الشخصية مقابل اندماج قسري في منظومة اجتماعية معادية، ما يعكس عمق التوتر

[1] ميشال فوكو، **الفرد والمجتمع**، ترجمة: حسين موسى، بيروت، دار الساقي، 2010، ص128.

[2] المصدر نفسه، ص129.

بين الذات و الآخر، وبين حرية الفرد وآليات الضبط التي يمارسها المجتمع باسم النظام والاستقرار.

2/ الهوية الثقافية والوطنية في الرواية:

تعد مسألة الهوية الثقافية والوطنية من الإشكاليات الجوهرية التي انشغل بها الفكر العربي المعاصر، خاصة في ظل التحديات السياسية و الاحتلال والاستلاب الثقافي التي عانت منه العديد من الشعوب، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني، وقد شكلت الرواية وسيلة تعبيرية بارزة عن هذا الهم، إذ استطاع الكثير من الكتاب الفلسطينيين أن يجعلوا من أعمالهم ساحة لتفكيك الأسئلة الوجودية المتعلقة بالانتماء و الهوية، وفي هذا السياق تندرج رواية "قناع بلون السماء" لباسم خندقجي التي تتميز بتناولها العميق لمسألة الهوية الوطنية في ظل واقع استعماري قهري حيث يجبر البطل على تقمص هوية نقيضة، مما يفتح المجال أمام الرواية لاستكشاف آليات المقاومة الرمزية وطرح تساؤلات وجودية تتعلق بالذات و الأثر، بالأصالة والتزييف وبالانتماء والمنفى.

تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة مفهوم الهوية الثقافية والوطنية في الرواية من خلال تتبع التحولات التي تطرأ على شخصية البطل "نور"، إثر إقحامه في فضاء غريب عنه ثقافيا وتاريخيا، ومن هنا تحاول القراءة أن تبين كيف تتحول الهوية إلى فعل مقاومة في سياق اقتراب سياسي وثقافي، وكيف توظف الرواية اللغة والسرد لتأكيد الذات الفلسطينية في وجه محاولات الطمس و الإلغاء، فكان لدور " نور" أن يقف في وجه الاحتلال الذي يحاول تفكيك هوية الفرد كمدخل لضرب الهوية الجماعة، فالشخصية هنا في دور الأسير الفلسطيني مجند في مهمة استخباراتية بلباس العدو، يعيش ازدواجية مدمرة بين ذات فلسطينية وهويته المزيفة المفروضة عليه يقول:" فملامحي أصيلة كملامح العديد من أبناء شعبي المحتل...وما قمت به ليس سوى التحايل على قيمة الملامح لدى المعايير الصهيونية

الكولونيا لية."[1] هذا الاغتراب الذاتي يعكس كيف أن الاحتلال لا يكتفي بمصادرة الأرض، بل يتسلل داخل الهوية، محاولا إعادة تشكيلها.

جدلية الذات والآخر:

تعد جدلية الذات والآخر من أهم الإشكالات التي اهتم بها الأدب والفكر الإنساني عبر مختف الأزمنة والعصور، فالذات لا يكتمل وعيها بذاتها إلا بوجود آخر يختلف عنها، ويكشف الأدب من خلال تصوير العلاقة بين الذات والآخر عن صراعات الانتماء، والبحث المستمر عن الاعتراف، وهكذا تصبح جدلية الذات والآخر مدخل لفهم طبيعة الإنسان وعلاقته بالغير ولتحديد مكانته في عالم مضطرب.

1/ مفهوم الآخر في الرواية:

يتجلى مفهوم "الآخر" في رواية "قناع بلون السماء" بوصفه أداة مركزية في تشكيل وعي الذات الساردة، حيث يصور الآخر بالأساس على أنه المحتل الصهيوني، الذي لا يمثل فقط قهرا ماديا عبر الأسر والاعتقال بل يتعدى ذلك ليصبح رمزا لمحاولة محو الهوية وسلب الحق في الوجود، إن السارد وهو أسير فلسطيني يعيد بناء تصوراته لذاته وللعالم من خلال الالتماس الدائم مع هذا الآخر القامع، مما يجعل العلاقة بينهما علاقة صراع وجودي وهوياتي، كما تحضر صورة الآخر الثقافي الغربي في الرواية كمرجع حضاري وفكري، يتم التعامل معه نقديا لا انبهاريا، في محاولة لإعادة التوازن بين الذات المتأملة ومرجعياتها الفكرية، وإلى جانب ذلك تبرز الرواية الآخر الداخلي أي الفلسطيني الذي خذل قضيته أو الذي تماهى مع منطق الهزيمة، مما يضفي بعدا دراميا داخليا يعمق من مأساوية التجربة، هكذا يتحول الآخر في الرواية من مجرد شخصية مقابلة إلى عنصر بنيوي فاعل في إنتاج المعنى والسؤال الوجودي حول الهوية والحرية، حيث يقول باسم في روايته:" الاسم مناعة يا مراد وللقناع حصانة...وأنا عثرت على قناع واسم لأتسلل من خلالهما إلى أعماق العالم

[1] قناع بلون السماء، ص70.

الكولونيالي...شابيرا أور شابيرا... إذ أشعر بتجولي في شوارع وميادين تل أبيب والقدس الغربية، أن ملامحي الأشكنازية المكللة بهذا الاسم...أشعر أنني بطل خارق متنكر بزي معين لكي يخفي ملامحه الحقيقية مثل باتمان...أما أنا، فأنا أور شابيرا مان، بلى لكنني لا أشعر بأنني خارق أو بطل...أشعر فقط بالملاحقة بالخوف...بالضعف...بالالتباس...، كل هذا هو ما يجعلني أعتقد للحظة بمعجزة ما قد تخلصني من كل ما أنا فيه من عجز، معجزة تقودني إلى الإيمان بقوة خارقة تجعلني بطل أحلامي أنا ولا أحد سواي."[1]

أ/ الآخر كتهديد للهوية:

يشكل الآخر عنصرا تهديديا لبنية الهوية، هذا ما تناوله خندقجي في روايته، حيث يتجلى الاحتلال الإسرائيلي بوصفه "آخر" استعماريا يسعى إلى محو الذات عبر أدوات القمع والعزل والطمس الرمزي، فالسجن في المتخيل السردي ليس مجرد حيز مادي للحرمان من الحرية، بل فضاء يعيد فيه الآخر تشكيل الكينونة، كما في قول السارد:"... السجن أفظع واقعة في الحياة...غربة حديدية صدئة..."[2]، إن هذا السعي إلى نزع الفرد من إنسانيته يهدد دور الهوية، وهذا ما يدل على سعي ممنهج لإفراغ الفرد من أبعاده الوجودية وتحويله إلى كيان خاضع لا يملك إلا الانصياع، والتهديد الوجودي لا يتوقف عند حدود الجسد، بل يمتد إلى اللغة والذاكرة والانتماء، إذ تصبح المقاومة الثقافية فعلا مضادا لاستلاب الهوية، إذ لا يقتصر التهديد على "الآخر الخارجي"، بل يظهر أيضا في صورة "الآخر الداخلي"، الذي يمثل حالات التخاذل أو الانسلاخ عن الانتماء، ما يجعل ازمة الهوية مضاعفة، حيث لا تأتي فقط من الخارج بل من داخل الذات الجمعية نفسها، وبهذا المعنى تطرح الرواية سؤال الهوية في مقابل الآخر ضمن علاقة جدلية، حيث لا تعرف الذات إلا من خلال المواجهة المستمرة مع من يسعى إلى محوها.

---

[1] قناع بلون السماء، ص56.

[2] قناع بلون السماء، ص48.

ب/ الآخر كمرآة للذات:

يقدم الآخر في نص الرواية حضورا مركبا يتجاوز دوره التقليدي كعنصر نقيض أو مهدد للذات، ليغدو مرآة وجودية تعكس من خلالها الذات الساردة ملامحها، وتعيد مساءلة موقعها ومعناها في عالم مضطرب ومنكسر، فالاحتكاك المستمر مع الآخر سوآءا في صورة الجلاد، أو في شكل المرجع الثقافي المختلف، يفضي إلى نوع من التوتر الإبداعي، تولد منه الذات الساردة وهي في حالة يقظة مستمرة، تحفر في عمقها أسئلة كبرى عن الهوية، الانتماء، الحرية، إن الذات في لحظات العزلة والتأمل لا تكتشف قيدها فحسب، بل تعيد النظر في ملامحها الأصلية، من خلال صورة الآخر، الذي يقف قبالتها، كأنها لا ترى نفسها بوضوح إلا في مرآة التضاد، فلولا قناع "الآخر" الذي لبسه "نور" لما استطاع السير كلاجئ داخل القدس وتنقله بين أرجائها العتيقة يقول محمد جابري في هذا الصدد:" إنه لولا وجود الآخر لما كان هناك تفكير في المستقبل، فنحن إنما نفكر في المستقبل لأن شيئا ينافسنا في حاضرنا، يهددنا أو يستهوينا او يتقدم علينا، وبعبارة أخرى يتحدى هدوءنا وسكينتنا وغفلتنا، من هذا المنظور يمكن القول إن الحضارات وليدة التحدي الذي يواجه الشعوب والأمم."[1]

فهذا التفاعل مع الآخر لا يأخذ دائما شكل المواجهة العنيفة أو الرفض المطلق، بل في أحيان كثيرة يتحول إلى نوع من الحوار الداخلي الصامت، حيث تصغي الذات إلى صدى بعيد لصوتها العميق وهي تراقب الآخر وتحلله، وتعيد تعريف ذاتها من خلاله، فمثلا المعتقل الذي يبدو في ظاهره مكانا للطمس والإلغاء يتحول بفعل هذا التفاعل إلى مسرح تأملي، تتعرى فيه الذات من كل الأقنعة، وتظهر في أكثر تجلياتها صفاء وانكسارا، ولعل حضور الآخر الثقافي الذي يستحضر عبر إشارات معرفية وفكرية، يزيد من حدة هذا

[1] محمد عابد الجابري، **مسألة الهوية**، العروبية والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، ط2، 2012، ص90.

التأمل، إذ تقارن الذات نفسها بمرجعيات مختلفة، لا لتفقد انتمائها بل لتثبته في مواجهة التلاشي، إن الآخر بهذا المعنى لا يهدد الذات فقد، بل يمنحها شرعية السؤال ويدفعها إلى إعادة تعريف وجودها لا ككيان مكتمل بل كمشروع إنساني مفتوح على الاحتمال.

2/ علاقة الشخصيات بالآخر (المجتمع، السلطة، المنفى):

تتخذ علاقة شخصيات رواية "قناع بلون السماء" بالآخر طابعا جدليا معقدا، حيث يتنوع هذا الآخر في تمثيلاته بين المجتمع، السلطة، المنفى، ويتحول إلى مرآة تعكس عزلة الذات واغترابها، فالمجتمع رغم انتماء السارد إليه لا يظهر دائما في صورة الحاضن أو الداعم بل أحيانا صورة المتخاذل أو الصامت ليستولي الآخر عليه كما في قول السارد:"...؛ حتى ملابسي كنت أقتنيها من المتاجر والأسواق الصهيونية،...كنت أدخل المتجر لأراقب الآخر وهو يختار ملابسه لكي أقتني مثلها..."[1]، وهو ما يبرز فجوة بين الفرد و جماعته، أما السلطة فتمثل الآخر الداخلي الذي يعيد إنتاج آليات القمع من داخل الجسد الوطني، حيث يشعر السارد بكونه محل تهميش أو تجاهل حتى من أولئك الذين يفترض أنهم في صفه، هكذا تصبح السلطة أداة إضافية للطمس ليس نقيضا للاحتلال فحسب بل قرينة في تغييب الذات الفاعلة، و المنفى من جهته لا يظهر فقط كفضاء جغرافي، بل كحالة وجودية يعيشها السارد حتى داخل الوطن، فالسجن يتحول إلى منفى داخلي، تتفكك فيه العلاقات واللغة والزمن، لكنه كذلك مساحة للتأمل والخلق، وفي هذا المنفى يعيد السارد بناء ذاته من خلال الذاكرة والكتابة ليقاوم تلاشيه في وجه الآخر المسيطر، وبذلك ترسم الرواية ملامح علاقة مركبة بالآخر، لا تقتصر على المواجهة الظاهرة بل تتسلل إلى عمق الشعور والهوية فيتحول الآخر من مجرد وجود خارجي إلى عنصر داخلي يسكن الذات ويحرضها على المقاومة من داخل العزلة.

[1] قناع بلون السماء، ص57.

الرموز والدلالات المتعلقة بالهوية:

تمثل الرموز والدلالات دورا مهما في التعبير عن الهوية، وتلعب دورا أساسيا في إثراء النصوص الأدبية، إذ تمنحها عمقا ومعاني متعددة، فالرمز في تعريفه لدى الدارسين والأدباء هو: "تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت، إنما هو إشارة بالشفتين."[1] ويعطي تجربة إنسانية كبرى في شكل صورة بسيطة، بينما تساعد الدلالات على التأويل أمام القارئ، مما يجعل النص منفتحا على احتمالات مختلفة، وتختلف الرموز بحسب السياق الثقافي والتاريخي للنص، فتعبر عن المشاعر والأحاسيس أو الصراعات الداخلية أو قضايا وجودية، بهذا تصبح الرموز والدلالات وسيلة للتعبير عما تعجز الكلمات عن إفصاحه، ولربط النص بعمق التجربة الإنسانية الشاملة.

1/ تحليل الرموز المتعلقة بالهوية في الرواية:

تعد الرموز من الأدوات الفنية العميقة التي يعتمد عليها الأدب لتكثيف المعاني وفتح آفاق متعددة للتأويل، وفي رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي" تتجلى الرموز كآلية سردية محورية لاكتشاف أبعاد الهوية الفردية والجمعية، لاسيما في ظل واقع الاحتلال والسجن، إذ يستثمر "خندقجي" الرموز لتفكيك مفهوم الهوية وإعادة تركيبه، حيث لا تقدم الهوية كمعطى ثابت، بل كحالة متحولة تتشكل من خلال التجربة والمقاومة والاغتراب، ومن خلال شخصيات الرواية وعوالمها الرمزية ينفتح النص على تساؤلات وجودية تتقاطع فيها الذات الفردية مع الهم الوطني والإنساني، مما يجعل تحليل الرموز فيه مفتاحا لفهم البنية العميقة لهذا العمل، واستيعاب رؤية الكاتب لفكرة الهوية في زمن التشظي والانكسار.

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة رمز، دار صادر، بيروت، لبنان، 1955، ص1727.

أ/ القناع ودلالاته:

حضر القناع في اللغة العربية ليدل على:" ما تقتنع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها، وألقى عن وجهه قناع الحياء، على المثل، وقنعه الشيب خماره إذا علاه الشيب."[1] فالقناع هنا هو علامة تستر وخفاء تتغطى به المرأة، أما في الاصطلاح فورد في كثير من الكتب النقدية " ليدل على شخصية المتكلم أو راوي العمل الأدبي، ويكن في أغلب الأحيان هو الراوي نفسه."[2] ومن هنا فالقناع تقنية فنية يتخذها المبدع لتعبر عنه وتمثل صوته في العمل الأدبي، ويتخذ من الشخصيات ما يمثل هذا القناع للوصول إلى أهدافه ولإضفاء صوت آخر يشكل من خلاله عالم سردي، والقناع في نص الرواية هو إشارة إلى الهوية الزرقاء، حيث يعثر نور "مهدي الشهدي" الباحث المختص في التاريخ والآثار على بطاقة هوية زرقاء لشاب إسرائيلي يدعى "أور شابيرا"، بجيب معطف اشتراه من سوق الملابس المستعملة، يقول السارد:" أخذ يتفقد جيوبه الأخرى كافة، وما إن وضع يده في جيبه الداخلي الواقع قبالة القلب حتى التقطت أصابعه شيئا، فأخرجه بلهفة وفضول فإذا هي بطاقة هوية صهيونية زرقاء اللون من غير سوء غفل عنها صاحب المعطف إثر بيعه في سوق الخردوات..."[3]، ومن هنا يعد القناع تقنية سردية ورمزا دلاليا يستخدم للكشف عن تعقيدات الشخصية وتشظي الهوية، لا يستخدم القناع فقط لإخفاء ملامح الشخصية، بل لتمكينها من التعبير عن جانب آخر من ذاتها لا تستطيع الإفصاح عنه مباشرة، ففي كثير من الروايات يضع البطل قناعا مجازيا للهروب من واقع يرفضه أو لا يعبر عنه، ليخلق بذلك مسافة بينه وبين العالم، أو بينه وبين ذاته الحقيقية، وتستخدم هذه التقنية بشكل خاص في الروايات التي تعالج الاغتراب والانكسار النفسي، أو التحولات الوجودية، القناع هنا يصبح

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، مادة(قنع) 202/12، دار صادر، 2003.

[2] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مادة(قناع) وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص297.

[3] قناع بلون السماء، ص43.

آلية دفاعية وسردية في آن واحد، تتيح للشخصية أن تعيش أدوارا مختلفة تعكس تعدد الهوية بداخلها، أو تعبر عن تمزقها الداخلي، كما أن القناع قد يشير إلى الزيف الاجتماعي، حيث يتظاهر الأفراد بما لا يعتقدونه، ليسايروا قوالب الجماعة، وبالتالي يمكن النظر إلى القناع في الرواية كعلامة على الصراع داخلي مستمر، أو كوسيلة للكشف عبر الإخفاء، إذ يمكن القناع القارئ من النفاذ إلى باطن الشخصية أكثر من مظهرها، فيكشف المستور من خلال ما يخفى.

ب/ السماء كرمز للأفق والحرية:

تعد السماء في الرواية رمزا غنيا بالدلالات، وأبرزها الأفق والحرية، فهي تمثل الفضاء المفتوح الذي لا تحده جدران أو قيود، مما يجعلها تعبيرا عن التطلع نحو الانفلات من الضيق الأرضي، سواء أكان هذا الضيق وجوديا أو اجتماعيا، حين تتطلع الشخصيات إلى السماء، فإنها غالبا ما تبحث عن مخرج عن معنى أو عن عالم بديل أكثر رحابة، السماء تجسد حلم الانعتاق من الألم أو القيد، وترمز إلى الأمل وإمكانية التغيير، وفي كثير من الروايات يظهر التطلع إلى السماء مقرونا برغبة دفينة في الهروب أو الطيران، وكأن الذات المنهكة تجد فيها عزاءا أو وعدا بحياة أرحب، بهذا تتحول السماء من مجرد خلفية طبيعية إلى فضاء رمزي تتقاطع فيه الرغبات و المخاوف و الأحلام، وتصبح تعبيرا عن التوق الإنساني العميق للتحرر والتجاوز.

وقد صور لنا الكاتب مثالا عن "نور الشهدي" بتمثيل السماء كرمز للأفق والحرية بقوله:" فهل من رحم تلدني مرة أخرى إنسانا؟ هل من سماء أتجلى بها نورا ونارا؟"[1]، حيث لا يقصد سوى شرح بسيط للفضاء الواسع الذي يمكن أن يمنح الشعور بالتحرر، ويشير إلى الصعوبات والصراعات التي تواجهها الشخصية أثناء سعيها لفهم نفسها والتغلب على القيود المجتمعية، ومن خلال الشخصية "نور"، نجد أن السماء تمثل فضاءً شخصياً للتفكير في

[1] قناع بلون السماء، ص229.

الهوية والمكان، وفي لحظات متعددة يتساءل "نور" عن دوره في هذا العالم، وذلك بشكل جزئي جلي في تفاعلاته مع السماء، بينما تفكره السماء بشيء من التحرر والتوسع، يبقى في حدود بعيدة وصعبة المنال، ونجد العديد من الشخصيات الأخرى في الرواية أصبحت محصورة بين السماء التي تمثل الحرية، والواقع الذي يقيدها بالضغوط السياسية والاجتماعية، وتمثل السماء في هذا السياق رمزاً للتفكير في الوجود، مما يتيح الوصول إلى تفاصيلهم الخارجية مع العالم، إلا أنها ترى حاجزا يفصلهم بين الأحلام والواقع، حيث تتطلب الوصول إلى تلك الأحلام أكثر من مجرد النظر إلى السماء.

وتظل السماء في الرواية التي بين أيدينا شكلا رمزيا عن الأمل والصراع، فالسماء ليست مجرد رمز للحلم والحرية، بل تمثل الفضاء النفسي والتاريخي الذي يفصل بين الواقع وما يمثله الفرد، وتعد رمزاً للجهود في البحث عن الهوية الحقيقية.

2/ دور الرموز في سؤال الهوية:

توظف الرموز في الرواية بشكل يضفي على سؤال الهوية أبعادا دلالية تتجاوز التقريرية إلى الإيحاء والتأمل، فالرمز "هو وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادلة لفظية، هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته"،[1] ومن خلال حضور رموز كثيفة المعنى مثل القناع والسماء، يتجلى الصراع الداخلي الذي تعيشه الذات الروائية في علاقتها بنفسها والعالم، فالرواية لا تساءل الهوية بشكل مباشر، بل تجعل من هذه الرموز تجليات لأزمة أعمق حيث تتقاطع الرغبة في التمويه مع الحنين إلى الانكشاف، ويبرز التوتر بين القبول المفروض و الانتماء المختار بذلك تتحول الرموز إلى لغة بديلة تقول ما تعجز اللغة المباشرة عن قوله، وتعيد صياغة الوجود الإنساني بوصفه حركة دائمة بين أقنعة تلبس وأفق يرتجى،

[1] شايف عكاشة، **مقدمة في نظرية الأدب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، ص8.

ومن خلال هذه البنية الرمزية تقدم الرواية الهوية لا كجوهر، بل كمسار متحول تعيد الذات تشكيله في كل لحظة مواجهة مع العالم أو مع نفسها.

في هذا السياق، يظهر الرمز بوصفه وسيلة للتفاعل بين الأنا والآخر، وبين الداخل والخارج، وبين الانتماء والانفصال، تلجأ الهويات خصوصاً في أوقات الاحتلال أو الاستلاب الثقافي، إلى الرموز كوسيلة لإعادة تشكيل الذات لمواجهة هيمنة الآخر، كما يتضح في الرواية التي نحن بصدد دراستها للروائي الفلسطيني "باسم خندقجي"، حيث يصبح القناع رمزاً للكشف عن تعقيدات الشخصية وتشظي الهوية، وتستخدم مثل هذه الرموز لتعميق الصراع الداخلي للشخصية بشأن هويتها.

من الناحية النظرية يوضح "بول ريكور" هذا الدور التأويلي للرمز بأنه "دعوة للتفكير"، حيث لا يعبر الرمز عن معناه بطريقة مباشرة، "بل يحث المتلقي على الانتقال من السطحية إلى عمق المعنى الوجودي"[1]، في إطار الهوية تعمل الرموز على تشكيل خطاب بديل، يعيد تعريف الذات من خلال الإيماء وليس التصريح، مما يجعلها وسيلة مقاومة ثقافية بامتياز.

ومن الواضح أن الرمز في النص السردي لا يعمل كزينة فنية، بل كوسيلة تعبيرية تعكس قلق وهشاشة الهوية وتسمح بوجود تفسيرات متعددة، تكمن أهميته في إعادة تشكيل العلاقة بين الذات والعالم، وإعادة النظر في ما هو داخلي وما هو خارجي، مما يؤدي إلى سرد بديل يمكنه مقاومة الفوضى والانقسام، لذلك فإن تحليل الرموز في الرواية العربية الحديثة يجب أن يرتبط بالسياقات الثقافية والسياسية التي نشأت منها، حيث أن الرمز ليس مجرد تقنية فنية بل هو خطاب ضمن خطاب، ومعنى يتجاوز نفسه ليعكس واقعاً معقداً وهويات معلقة بين الذكريات، المنفى، واللغة.

[1] بول ريكور، **رمزية الشر**، ترجمة: جورج كتورة، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2010، ص12.

الفصل الثالث: سؤال الوجود في رواية "قناع بلون السماء".

الفصل الثالث: سؤال الوجود في رواية " قناع بلون السماء".

المبحث الأول: الوجود الفردي.

1/ صراع الشخصيات مع فكرة الوجود.

2/ الاغتراب الوجودي في الرواية:

أ/ اغتراب الشخصيات في علاقتها مع العالم.

ب/ البحث عن معنى الحياة.

المبحث الثاني: الوجود الجماعي.

1/ كيف يتبلور سؤال الوجود في السياق الجماعي؟

2/التحولات الاجتماعية والسياسية وأثرها على الوجود.

المبحث الثالث: أبعاد فلسفية في الرواية.

1/انعكاس الفلسفة الوجودية في النص:

أ/ الحرية والمسؤولية الوجودية.

ب/ القلق الوجودي.

2/ العلاقة بين الزمان والمكان وسؤال الوجود.

الوجود الفردي:

في عالم يعج بالصراعات والأزمات الكبرى، يصبح الوجود الفردي سؤالا محوريا يفرض نفسه على الإنسان، وفي رواية" قناع بلون السماء" يتم استعراض هذه الفكرة بعمق من خلال شخصيات تعاني من فقدان الهوية والمعنى في ظل الحرب والنزوح والفقدان، فالرواية لا تقتصر على تصوير الواقع المأساوي فحسب، بل تخوض أيضا في أعماق النفس البشرية لاكتشاف كيف يمكن للفرد أن يواجه تساؤلات وجودية حول الذات والحياة، من خلال الشخصيات نجد أن الكاتب يقدم لنا صورة حية عن معاناة الإنسان الفرد في البحث عن معنى لوجوده الخاص، وكيف يمكن لهذا الوجود أن يكون مصدر قوة أو نقطة ضعف في مواجهة التحديات.

1/ صراع الشخصيات مع فكرة الوجود:

نجد في عمق الرواية التي بين أيدينا، أن الصراع الوجودي يتجسد بشكل مكثف من خلال تجربة البطل "نور" الذي يتقمص دور" أور"، ويظهر ذلك في تجارب غريبة للانغماس في فهم الآخر من الداخل، غير أن هذا التقمص لا يبقى مجرد حيلة روائية أو تنكر بالفعل، بل يتحول إلى مأزق وجودي، حيث يعيش نور تمزقا متباينا بين صورته الحقيقية وقناعه الذي ارتداه، حيث يبدأ في التساؤل عن ذاته، وهويته الأصلية يقول:" سأفضحك... سأقول لصاحب المكتبة إنك محتال وتنتحل شخصية ليست لك... شخصية يهودية"[1]، في إشارة تدعو على عجز كينونة الذات بين الأصل و التمثيل، يتسع هذا التوتر عندما يلتقي ب" سماء إسماعيل" الفلسطينية التي تواجهه بحقيقة وجوده المزيف قائلة:" أيها المغفل أنا أنتظر عمرا بأكمله من أجل الخلاص من هذه الهوية...، وأما أنت فقد خسرت عمرك كله ترتدي هذا القناع ، هذه الهوية التي نكبتني."[2]، ما يعري تجربته من بعدها النضالي ويكشف

[1] قناع بلون السماء، ص107.

[2] قناع بلون السماء، ص224.

هشاشتها من الجانب الوجودي ، من هنا يدرك نور أن محاولته لتجاوز الواقع عبر تقمص دور الآخر لم تمنحه الفهم أو الانتماء، بل أشعرته بالضياع والتيه، وبالتالي يصبح القناع من وسيلة للاختراق إلى رمز للتشتت، والسماء التي كانت تمثل رمز الثقة والأمل والامتداد، أصبحت تعكس استحالة تحقيق الانسجام ما بين الذات والعالم، عبر هذه الرحلة يرسم " باسم" ملامح صراع داخلي يعكس مأزق الفرد الفلسطيني المعاصر، الذي لا يسعى فقط إلى التحرر الجغرافي، بل بالإمساك بجوهر الذات في عالم يضج بالأقنعة.

2/ الاغتراب الوجودي في الرواية:

الاغتراب ظاهرة إنسانية عامة تلازم الوجود البشري، وهو حالة نفسية اجتماعي تسيطر على الفرد، فيتحول إلى شخص غريب بعيد عن واقعه الذي يتعايش معه، فهو يتمثل في الصراع القائم بين ذاته وبين مجتمعه بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء إليه، فهو يجعل الإنسان يعيش في عالم مليء بالوحدة والانعزال، بحيث تكون الشخصية غريبة وبعيدة عن التنظيمات الاجتماعية، إذ يرى المنظرون أمثال "جان جاك روسو" الذي يعتبر: " أول من أعطى تعريفا للاغتراب في كتابه (العقد الاجتماعي) أن تغترب يعني أن تعطي أو أن تبيع، فالإنسان الذي يصبح عبدا لا يعطي ذاته وإنما يبيع ذاته على الأقل من أجل بقاء حياته"،[1] فالاغتراب قضية ملازمة للإنسان أينما وجد طالما هناك تعارض بين الفرد ومجتمعه واضطرابا في علاقته بالوجود الأصلي، إذ يبقى الصفة المشركة لجميع الذين يعانون من وجود شيء ما يفصلهم عن واقعهم، كما أن ظاهرة الاغتراب الوجودي هي واحد من أكثر القضايا الفلسفية والأدبية التي تم تقديمها في الرواية الحديثة، حيث يتجلى بشكل تدريجي في رواية "قناع بلون السماء" التي تشكل انعكاسا لصراع الإنسان مع ذاته ومع واقعه يقول السارد:"...على أن تعدني بالكف عن اتهامي بالهروب مع هذا الواقع، فأنا

[1] صبار نور الدين، **الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية**، ص52.

مشتبك يا صديقي.. مشتبك يوميا مع هذا الواقع الذي أعمل به.."[1]، إذ يحلل السارد هذا الاغتراب بوصفه تجربة داخلية يعيشها البطل، محاصرا بين أسرار السجن المادي والقيود الوجودية التي تطرق إليها، وذلك من خلال سرد يتسم بكثافة رمزية وتأملات فلسفية، يكشف من خلالها خندقجي عن عمق يعيشه الفرد الفلسطيني لا فقط على المستوى السياسي، بل أيضا من جانب الوجود، هكذا تتحول الرواية إلى ساحة للتأمل في الكينونة الإنسانية، وإلى صرخة داخلية تبحث عن المعنى والتحرر في عالم مهدد بالخراب.

أ/ اغتراب الشخصيات في علاقتها مع العالم:

يشكل مفهوم الاغتراب أحد المرتكزات الأساسية كإطار نظري لفهم التجربة الفلسطينية، التي تعد تجربة إنسانية ضمن سياقات القهر من قبل الاحتلال، هذا ما عبر عنه الأدب الفلسطيني على أنه شعور ينتج من تجربة النفي والتشظي و المقاومة، في هذا الإطار تبرز الرواية التي نحن بصدد دراستها بوصفها نصا سرديا يعيد تمثيل الذات الفلسطينية من خلال شخصيات تعيش تمزقا داخليا بين الذاكرة والانتماء، وبين الجغرافيا المستلبة و الهوية المغتربة، فالرواية لا تعد تمثيلا لتجربة الأسر والاحتلال، بل هي تأمل وثيق وعميق في آثار الاستلاب النفسي و الوجودي على الفرد الفلسطيني، وانعكاس ذلك في علاقته بالعالم من حوله.

إذ تجسد شخصيات الرواية وفي مقدمتها الشخصية البطلة " نور"، أشكالا مختلفة للاغتراب، اغتراب الذات عن الوطن الأصلي الذي نشأ وترعرع فيه، إذ يقول الراوي:" فهو لاجئ دون الأخذ بعين الاعتبار إذا ما كانت ملامح وجهه وطلته لا تبوحان بهذا. يكفيه اغترابه عن هذه المدينة وميادينها وشوارعها الاصطناعية المختلة والمحتلة، فقط في القدس"[2]، هذا ما يدل عن التشتت الذي تعيشه الشخصية في ظل الضغوط التي يعيشها الشاب الفلسطيني

[1] قناع بلون السماء، ص25.

[2] قناع بلون السماء، ص26.

من المحتل الصهيوني، بحيث تعد الملاجئ هي البيت الوحيد الذي ينتمون إليه، وتفتقد الشخصية الانسجام مع العالم من حوله، هو حر جسديا لكنه مسجون في وجدانه ممزق بين ذاته التي تبحث عن الحقيقة وواقع لا يمنحه وجودا كاملا، إذ يتجسد هذا الانفصال بين اللغة الأم وعن الذاكرة وعن الوطن الذي أصبح غريبا عنه، فعلاقته بالعالم قائمة على التوتر الدائم و الصمت الذي يخبئه في داخله.

ونجد أيضا الشخصية التي صاحبة "نور" طوال سرده للأحداث وهي الشخصية "مراد"، حيث قضى حياته وهو قابع في سجون الاحتلال الصهيوني، إذ يعيش هو أيضا تمزقا حادا في علاقته بالعالم الخارجي، فالسجن لا يمثل فقط جدرانا تحجب الحرية، بل يصبح رمزا للعزلة الوجودية والانفصال عن الزمن والناس والمعنى، يعاني "مراد" من اغتراب مزدوج: اغتراب مادي عن العالم الخارجي الذي سلب منه قسرا، واغتراب روحي عن عالم داخلي لم يعد قادرا على الاتساق معه، إذ يقول السارد:" واجه مراد حديد المعتقل بإرادته الفولاذية، وهزم غربته المريرة بالأمل المتدفق من حبر قلمه، ليبارز الحرمان والانتزاع الحاد والممنهج للإنسانية من زمنها ومكانها..."[1]، وهو تعبير عن مدى مقاومته للعالم الذي فرضه عليه واقعه هروبا من واقع أليم وقاسي.

علاقة "مراد بالعالم تتشكل من خلف القضبان، من نافذة صغيرة تطل على أفق ملؤه الحرية والنصر، هذا الاغتراب تعمقه تجربة الأسر، حيث تفقد الشخصية حقها في المشاركة مع العالم، لا بكتاباته فقط بل كإنسان هكذا تنعكس حالة "مراد" كشخصية مغتربة في صميم وجودها، في عالم يتعامل معه كجسد معزول لا كذات مفكرة، ويصبح السجن استعارة كبرى لحالة الفلسطيني المعزول، الباحث عن ذاته وسط عالم لا يراه إلا من خلال قضاياه لا إنسانيته.

[1] قناع بلون السماء، ص23.

يتضح أن الاغتراب يشكل جوهرة التجربة الوجودية التي تمر بها جميع الشخصيات، لاسيما في علاقتها بالعالم من حولها، فالرواية وإن بدت في ظاهرها سردا لتفاصيل فردية، فإنها تكشف عن شعور جمعي بالغربة والتمزق سواء إن كان ذلك في المنفى أو داخل الوطن.

ب/ البحث عن معنى الحياة:

تدور رواية "قناع بلون" لباسم خندقجي حول سؤال عميق يتعلق بمعنى الحياة، حيث تظهر الحياة كصراع مزدوج أحدهما ضد الأسر الجسدي، والثاني أعمق يتعلق بالتكسير الروحي والنفسي، الذي تمارسه الظروف القاسية مثل: الاحتلال، الرواية لا تظهر الحياة مجرد حالة بيولوجية، بل تسلط الضوء على أنها فعل رمزي يتجاوز الوجود الجسدي، إذ تتجمع المعاني في مساحات تفصل بين الأمل والخذلان، وبين الحزن والفقد، وبين الانعزالية والانفتاح على ما في الذاكرة والخيال.

من خلال شخصية "نور الشهدي" تجسد الحياة كبحث مستمر عن الذات المفقودة أو المتشتتة بين ذكريات الطفولة، ولحظات الحب، والانكسارات التي يسببها الواقع السياسي والوجودي، يقول الراوي:"...عزلة استحالت مهدا لذاكرة ما تفتأ تضاجعه لتلد له الماضي توائم ممسوخة مشوهة بين ماض وحاضر، بين مخيم ومدينة، بين رام الله والقدس، بين أبيه وظله، بين نور وأور، بين الصمت والبوح، بين قراءة وتجيل البطاقات الصوتية..."[1]، "نور" لا يعيش بشكل تقليدي بل يواجه الوجود كمرآة مكسورة، حيث يسعى لإعادة تشكيل هويته الذاتية عبر الكتابة، والتأمل في الماضي وكشف ما في سجنه الداخلي والخارجي، إن الفوضى التي يعيشها في هويته ووجوده تدفعه إلى اختبار نوع من الحياة الرمزية، حيث تكون الأسئلة أعمق وأكثر أهمية من الإجابات، والشك أقوى من اليقين.

[1] قناع بلون السماء، ص53.

وتتشكل مظاهر الحياة في الرواية بعدة طرق، لكنها تلتقي عند مفاهيم مثل: الحرية واللغة والحب، وتتحول الحياة إلى مقاومة صامتة وتجربة داخلية تستمد من الإيمان بالحق والكرامة،

الأسر في النص ليس مجرد قيد جسدي، بل قيد وجودي يكشف عن ضعف البشر ويمثل أيضا فرصة للخلاص عن طريق الوعي، في هذا السياق يعرض خندقجي الحياة كقيمة تتحقق من خلال الرفض والمقاومة والبحث عن الحقيقة، واللغة تصبح وسيلة حيوية تحرر الروح وتعطي للمقيدين فرصة لبناء عوالم بديلة، يستطيعون من خلالها استنشاق واقع أكثر إنسانية، ولعل أحد أبرز العناصر التي تعطي الحياة معناها في الرواية هو الكتابة نفسها، حيث تتحول الكلمات إلى وسيلة للتحرر، والذاكرة تصبح مصدرا للمعنى، بحيث أن الكتابة في رواية "قناع بلون السماء" ليست ترفا أدبيا بلهي فعل حياة كامل، إذ تستعاد الأحداث وتعاش المشاعر، وتنطق الذات بشيء من وجودها رغم غيابها الجسدي، فعندما يكتب "نور" يفكر أكثر من البقاء بل يسعى لإثبات وجوده ككائن قادر على الحب والرفض والأحلام، وهكذا يصبح الحكي بمثابة رمز للحياة، يقول السارد:" أشعر براحة عظيمة عندما أخاطبك عبر هذه التسجيلات الصوتية.. على الرغم من أنني أعلم أنها لن تصلك ولن تسمعها أبدا..."[1] كلما حكى تأكد وجوده وكلما كتب استرجع جزءا من ذاته.

أما الحب فهو البعد الإنساني العميق الذي يمنح الحياة طابعا مليئا بالعواطف والألم، حب "نور" ليس مجرد علاقة رومانسية، بل هو فعل تذكر يعيده إلى لحظات نقاء نادرة، ويمكنه من مواجهة الوحدة، ورغم أن الحب غالبا ما يجد نفسه محاصرا وسط الألم، إلا أنه يظل مصدرا للمعنى، ويشير إلى أن الحياة ممكنة حتى في أصعب الظروف طالما أن القلب لا يزال ينبض، ورغبة الاتصال تبقى حاضرة. وقيمة الحياة في رواية "قناع بلون السماء" ليست مفهوم مكتمل، بل يتشكل تدريجيا من تفاعل الشخصيات مع أنفسهم ومع الآخرين، ومن قدرتهم على تحويل الألم إلى وعي والخسارة إلى نوع من التماسك الداخلي، هنا تتقاطع

[1] قناع بلون السماء، ص86.

الرواية مع الفلسفات الوجودية التي تشير إلى أن الإنسان هو ما يصنع معنى حياته من خلال اختياراته ووجهة نظره تجاه مصيره. في هذا السياق تعتبر أيضا الحرية حتى إذا كانت داخل زنزانة لحظة حقيقية لصنع الذات، بينما تعد الكتابة وسيلة لتحقيق خلود داخلي يتحدى الفناء الخارجي.

بهذا يقدم "خندقجي" في روايته صورة لحياة لا تعتمد على التماسك المادي بل تستند إلى البقاء الرمزي، حيث يمتلك الإنسان نفسه بوعيه وذاكرته وصوته، رواية " قناع بلون السماء" تقدم تأملا عميقا في معنى الحياة، بحيث يؤخذ من الإنسان كل شيء، ويظل له فقط ذاته، كينونته وكلماته.

الوجود الجماعي:

لا يقتصر موضوع الوجود في رواية "قناع بلون السماء" على الجانب الفردي فقط، بل يتعدى ذلك ليشمل الوجود الجماعي للفلسطيني تحت الاحتلال، بحيث يظهر وجود مهدد بالذوبان والاندثار، يتفاعل "باسم خندقجي" مع هذا البعد من خلال سرد معقد، يظهر كيف أن التجارب الشخصية للفلسطيني تصبح مرآة لألم الجماعة، فرغم أن حياة "نور الشهدي" تبدو منعزلة ضمن تجربة خاصة إلا أنها تعكس معاناة شعب كامل، يكافح ليس فقط من أجل البقاء الفعلي، بل للحفاظ على ذاكرة وهوية معرضتين للتشويه والإزالة، يتجلى هذا القلق الوجودي الجماعي في رواية "قناع بلون السماء" بدءا من مشاهد القدس المهددة، إلى التهميش الفلسطيني في وطنه وصولا إلى تجسيد "نور" لهوية الآخر كوسيلة لفتح حوار حول الاحتلال من الداخل، وبالتالي يتحول القناع الذي يرتديه من وسيلة فردية لخرق حواجز العدو إلى رمز لمعاناة الوجود الفلسطيني الذي يتعرض للتشويه والفقد. ومن هذا المنظور لا تتناول الرواية الوجود من جانب شخصي فقط، بل تقدم رؤية شاملة لصراع وجود جماعي تطرح فيه القضايا الأساسية حول الأرض والهوية، وبالتالي يتجلى الوجود

الفلسطيني كفعل مقاوم يتمسك بالتاريخ والثقافة كطرق لإثبات الذات في عالم يحاول نزع كل ما يضمن بقاءه.

1/ سؤال الوجود في السياق الجماعي:

يتجلى سؤال الوجود بشكل عميق في الإطار الجماعي الذي تتضمنه رواية "قناع بلون السماء"، ويتعلق هذا الإطار بالواقع الفلسطيني المحتل، وبالهوية الجمعية التي تسعى للاكتشاف وسط رماد الاحتلال والمعاناة، وسؤال: من نكون؟ لا يطرح من منظور فردي عبر شخصية " نور الشهدي" فقط، بل يتجلى من خلال مصير جماعي معقد ومجزأ، حيث يصبح كل فرد صورة تعكس الآخر، وتصبح الذات تجسيدا للكل، كما يتحول الألم الشخصي إلى تمثيل موضعي للألم الوطني، وتعمل الرواية على إعادة تقديم الوجود ضمن جماعة تعيش تحت وطأة القيود، حيث تذوب الخصوصيات لصالح مصير مشترك، وتخفي الحدود بين الذاتي والجماعي في تجربة الأسر، التي تعاني في جوهرها وقف الحياة خارج الزمن، في هذا السياق يتجاوز الوجود البعد البيولوجي ويعاد تعريفه عبر شبكة العلاقات التي تربط الشخصيات، خاصة في مشاهد التفاعل بين الأسرى، وفي حكايات الماضي والحاضر، التي تكشف هشاشة الهوية الفلسطينية تحت الاحتلال، لكن هذه الهشاشة لا تدل على الاستسلام، بل تمثل وعيا أعمق بأهمية المقاومة كخيار وجودي لا مجرد رد فعل سياسي.

إن ما يميز سؤال الوجود في "قناع بلون السماء" بأنه جماعي بامتياز، هو طريقة عمل الذاكرة الجماعية داخل الرواية، فالذاكرة هنا ليست مجرد حنين فردي بل وسيلة للتذكر والوعي بتاريخ جمعي، من خلالها تسترجع الشخصيات وجودها في مواجهة النسيان والإلغاء الممنهج، والسجن كفضاء مليء بالكشف الإنساني، يصبح مسرحا تظهر عليه العلاقات بين الأفراد ويتحول إلى مجتمع صغير يختبر قيم العدالة، والكرامة والخديعة والصمود، رغم قساوة المشاهد وطرق المعاملة يقول السارد:" أهكذا يقومون بإحصائكم يا مراد.. عدد عدد.. لينزعوا عنكم الإنسانية صباحا وظهرا ومساء. يحصون أجسادكم وأنفسكم وآمالكم

بالحرية..."[1]، لكن رغم كل هذا يعاد تشكيل معنى الوجود وفق مبدأ التضامن والتشارك والبقاء الرمزي المشترك، على الرغم من الاختناقات المادية.

لا يمكن مناقشة السياق الجماعي دون الإشارة إلى الوجود الفلسطيني كهوية مهددة تعيش تناقض الظهور/الغياب، في الرواية تواجد الفلسطيني ليس فقط كمواطن، بل كرمز وكائن موكل له إثبات وجوده في كل لحظة، وحركة وكلمة، ومن هذا ينظر للسجن كونه ليس قيدا فحسب، بل يمثل منفى جماعي، وهكذا تصاغ الهوية الفلسطينية في الرواية كحالة وجودية متوترة، تخضع لمحاولات محو متكررة، وتتمسك بالبقاء عبر اللغة والتذكر والانتماء. ومن المثير للاهتمام أن "خندقجي" الذي هو أسير فلسطيني أيضا، لا يقع في فخ الخطاب السياسي المباشر، بل يحول التجربة الجماعية إلى تأمل فلسفي حول معنى أن تكون جزءا من كل مكسور، فالسرد لا يمثل شخصيات معزولة بل يجسد كينونة جماعية تشكل معانيها في ظل المعاناة، كل حوار أو انكسار أو لحظة تواصل داخل السجن تحمل دلالة وجودية تعكس عدم الاستقرار في الجماعة وضعف أحلامها، لكنها تؤكد أيضا على قوتها وإرادتها في البقاء، بالرغم من محاولات الطمس والتشويه. إن سؤال الوجود في الرواية مرتبط بالسياق الجماعي، وهو لا ينفصل عن مسألة الحرية، إذ يمكننا القول إن الوجود يعاد اكتشافه في لحظة التحدي الجماعي للواقع كمؤسسات الأسر، في حين تصبح الحياة اليومية وسيلة للمقاومة، ويصبح الأمل ليس كعاطفة فحسب، بل كقناعة راسخة وهي تعد شكلا من أشكال الوجود الثابت، وأيضا رفض الصمت والاحتفاء بالهوية الجمعية التي تواصل مقاومة التلاشي.

يمكن النظر إلى "رواية قناع بلون السماء" كجهد جمالي وفكري لتجذير سؤال الوجود الفلسطيني في مساحة جماعية ترفض أن تمسح، وتستمع الرواية لأصوات المهمشين وتمنح الجماعة المحاصرة فرصة للتعبير والتذكر، وتعيد صياغة الكينونة من خلال التجربة

[1] قناع بلون السماء، ص183.

المشتركة للألم والحنين والأمل والنضال، وبالتالي فإنها تكتب الوجود بلغة الجمعية بدلا من المفرد، وتؤكد على أن الذات لا تكتمل إلا في ظل الآخر، وأن الوجود الحقيقي يتجلى في قلب الجماعة، مهما كانت المساحة ضيقة أو طال الأسر.

2/ التحولات الاجتماعية والسياسية وأثرها على الوجود:

تقدم رواية "قناع بلون السماء" للكاتب باسم خندقجي صورة عميقة للتغيرات الاجتماعية والسياسية التي عاشها الشعب الفلسطيني، حيث لا تعتبر هذه التغيرات مجرد خلفية، بل تؤثر بشكل فعّال على وعي الشخصيات وحياتها الداخلية والخارجية. عبر السرد المتنوع، ويستعرض "خندقجي" صورة مؤلمة لوجود شعب يشهد محاولات للسيطرة والإبعاد، وفي الوقت نفسه، يجابه أفراد هذا الشعب تغييرات اجتماعية وثقافية تجعل مسألة الوجود أكثر تعقيدًا وتصدعًا. فالرواية ليست مجرد وصف للتحولات، بل تعكس تأثيرها العميق على الهوية والانتماء وفهم الذات، إن أحد التغييرات الملحوظة في الرواية هو تآكل المجتمع التقليدي، وتراجع القيم الجماعية التي كانت دعماً للوجود الفلسطيني، يتضح ذلك من خلال الحنين إلى الماضي الذي تكشف عنه شخصية "نور الشهدي"، ويبرز التناقض بين تلك الذكريات وواقع الحاضر المليء بالتفكك، حيث انتقل الشعور بالانتماء من يقين جماعي إلى عبء فردي، ومن مصدر فخر إلى مجال للتساؤل والانكسار، كذلك تشير الرواية إلى تأثير الاحتلال في تمزيق النسيج الاجتماعي وإعادة تشكيل الوعي الجماعي، حيث تتحول القيم مثل الكرامة والهوية إلى مفاهيم مهددة باستمرار، خصوصًا عندما يصبح السجن واقعًا مألوفًا، والسجان جزءًا من الروتين اليومي، والخوف شعورًا متكررًا، في هذا الإطار يقول السارد: "يبدو أن الاحتلال بات جزءا من حياتنا اليومية.. بات طبيعيا، أليس هذا ما يقصد مراد.. التفاصيل الكولونيا لية الصغيرة"[1]. هذا التوتر بين الانكسار والصمود هو نتيجة مباشرة للظروف السياسية المعقدة، حيث لا يكفي الوجود، بل يجب على الشخص إثبات وجوده بكل الوسائل.

[1] قناع بلون السماء، ص35.

ورغم الظروف الصعبة التي تعرض لها، لا تقع الرواية في طيات التشاؤم، بل تقدم نوعًا من الأمل الوجودي المتجذر في الذاكرة، اللغة، وقدرة الفرد على الحلم، كل هذه التحولات على الرغم من قسوتها، تنتج وعياً أكثر وضوحاً بالنفس والآخر، وتدفع الشخصيات للتفكير مجددًا في شروط وجودها، ودورها في القضية، والتاريخ، والمستقبل، ومن خلال كل هذا تستعيد الذات قدرتها على الوجود، على الرغم من كل التحولات، وتؤكد على أن التجربة الفردية لا تنفصل عن المسار الجماعي الذي يواجه مصيره ويسعى لإعادة تشكيل هويته من جديد.

لذا فإن رواية "قناع بلون السماء" لا تروي فقط تحولات المجتمع الفلسطيني، لكنها تعيد تعريف مسألة الوجود في ظل تلك التغيرات، وتمنح القارئ فرصة للتفكير في كيفية إمكانية أن يبقى الإنسان إنسانًا وسط عالم سريع التغيير، يؤثر على الذات لتُعيد تشكيل علاقاتها بالعالم وبالآخرين وبنفسها.

أبعاد فلسفية في الرواية:

تشكل رواية "قناع بلون السماء" للكاتب باسم خندقجي أكثر من مجرد عمل أدبي يروي معاناة الأسرى أو ينقل واقع الفلسطينيين تحت الاحتلال. هذه الرواية هي نص تتجاوز فيه الأبعاد السياسية المباشرة ليصل إلى عمق الأسئلة الوجودية والفلسفية التي تهم الإنسان بصفته الأساسية، خصوصًا عندما يتم انتزاع حريته ويدخل عالم العزلة والتفكير القسري، كما تعرض الرواية بعدًا وجوديًا مرتبطًا بقرارات الفعل وتحمل المسؤولية، حيث نرى الشخصيات، وعلى رأسهم "نور الشهدي"، يسعون لإثبات وجودهم عبر الكتابة والمقاومة الهادئة، على الرغم من كافة أشكال الإقصاء والتمييز، بالإضافة إلى ذلك فإن الزمن في الرواية ليس مجرد خط زمني، بل هو مساحة داخلية تشمل الذكريات، والشوق، والندم، وهذه السمات توفر مجالاً للتفكير الفلسفي حول المصير.

إن الأبعاد الفلسفية في "قناع بلون السماء" تضيف عمقًا فكريًا إلى الرواية، مما يجعلها تتجاوز التصنيفات السطحية وتعرض القارئ لمرآة الذات الإنسانية عندما تُحرم من كل شيء، ولا يتبقى لها سوى الوعي واللغة والذاكرة كوسائل للبقاء والوجود.

1/ انعكاسات الفلسفة الوجودية في النص:

تعكس رواية "قناع بلون السماء" للكاتب "باسم خندقجي" عمقًا فلسفيًا يرتبط بالفكر الوجودي، لا سيما من خلال رؤيته للإنسان ككائن يمتلك الحرية، يعاني من القلق، ويتحمل مسؤولية صياغة مغزى حياته في عالم مضطرب، تجسد معاناة الشخصية الرئيسية "نور الشهدي" هذا التأثير الوجودي، إذ تجد نفسها محاصرة في سجن مادي ورمزي، وتسعى بلا كلل لإعادة اكتشاف نفسها رغم القيود المفروضة عليها. تكون الحرية في الرواية اختيارًا داخليًا قبل أن تظهر كحالة عالمية، يقول الفيلسوف "جان بول سارتر": "بأن الإنسان محكوم بالحرية، وأنه مسؤول عما يصنعه من شخصيته"[1]، ويتجسد الوعي الوجودي في عبارة "نور" وهو يخاطب صديقه "مراد": "طبعا أنت تعلم. الحكي كلام والكتابة كلمات..."[2]، وهذا يتماشى مع أفكار عبد الرحمن بدوي الذي عرف الوجودية بأنها "موقف إنساني يجعل الإنسان مركز وجوده، وليس مجرد مفعول به"[3]، في هذا تصبح الكتابة حاجة وجودية تساعد في مواجهة الفناء والعدم. تظهر أيضًا أزمة الزمن في الرواية كعنصر أساسي للوجود، حيث تتعقد العلاقة مع الزمن، سواء من خلال الانتظار أو فقدان الإحساس به، مما يدل على أن الوجود داخل السجن يتضمن دوماً مواجهة مع قلق الزمن والنهاية، وتظهر عبثية الأمور التي تعتبر أحد أركان الفلسفة الوجودية، من خلال خيبة الأمل من وعود التحرر والانتصار،

---

[1] جان بول سارتر، **الوجودية مذهب إنساني**، ترجمة: عبد المنعم حفني، بيروت، دار الآداب، 1987، ص48.

[2] قناع بلون السماء، ص131.

[3] عبد الرحمن بدوي، **الزمان الوجودي**، القاهرة، وكالة الأهرام للتوزيع، 1992، ص4.

لكن "نور" مثل معظم الشخصيات الوجودية، لا يستسلم لهذه العبثية بل يثور عبر الكتابة ويحافظ على معنى وجوده الخاص.

وبهذا، تبرز رواية "قناع بلون السماء" تجربة الوجود الإنساني كصراع مع العدم ومع الزمن ومع عبثية الواقع، مما يجعلها ليست مجرد رواية عن الهوية الفلسطينية، بل نصًا وجوديًا عربيًا يعبر عن قلق الإنسان المعاصر ويؤسس لرؤية فلسفية للذات في عالم يفتقر إلى المعنى الثابت.

أ/ الحرية والمسؤولية الوجودية:

تطرح رواية "قناع بلون السماء" لباسم خندقجي مفهوم الحرية والمسؤولية الوجودية من خلال شخصية "نور الشهدي"، إذ يقوم نور بإرادة مدروسة بتبني رمزية المقاومة عبر ارتدائه قناعا يواجه به عالمه، متجاوزًا بذلك الأفكار البسيطة حول الحرية كتخلص جسدي فقط، إن حرية "نور" لا تعتمد على انتهاء الاحتلال أو زعزعة النظام الاستعماري، بل تأتي من إيمان داخلي بأن الهدف من الحياة البشرية يكمن في العمل الإرادي المسؤول والقابل للتضحية، إن قناع "نور" لا يُعتبر وسيلة للهروب من الواقع، بل هو وسيلة للاندماج الأصلي فيه، من خلال هذا القناع يوضح انخراطه الكامل في معركة تحديد المصير، حيث يتحمل عبء حريته، والحرية في هذا السياق تعني أكثر من مجرد القدرة على القيام بالأفعال، بل هي التزام وجودي يستلزم من الفرد تحمّل مسؤولية كافة خياراته مهما كانت العواقب مؤلمة أو صعبة، وبذلك تظهر المسؤولية الوجودية كالثمن الذي على الإنسان الحر دفعه مقابل اختياراته الأصيلة، وتستكشف الرواية أعماق النفس البشرية، مُظهرة أن الحرية ليست شيئًا يُعطى، بل تُستخلص من خلال قرار واعٍ من الداخل، في كل خطوة يخطوها يُظهر "نور" أن الإنسان لا يُقيّم من خلال وضعه الاجتماعي أو ظروفه المحيطة، بل من خلال ما يختاره لنفسه وما يتسبب به من عواقب، وما يبنيه من هويته الخاصة، الحرية هنا هي فعل أخلاقي وموقف وجودي، وليست مجرد شعار سياسي أو حالة عابرة.

من خلال الرحلة التي يقوم بها "نور"، تتجلى مشاعر القلق التي تصاحب الحرية الحقيقية، فالقلق لا يُعتبر ضعفًا، بل هو دليل على إدراك الإنسان للفرص المهولة التي تنفتح أمامه، بما في ذلك الموت والزوال بدلاً من أن يُعيقه هذا القلق، يتمكن "نور" من تحويله إلى دافع نحو الفعل، والتفاعل الكامل في مشروع تحرري يتجاوز شخصه ليشمل هوية جماعته، بهذا الشكل تصف الرواية الحرية كمعركة داخلية تتطلب شجاعة كبيرة لمواجهة الذات قبل مواجهة الخصم الخارجي، وفي النهاية يصبح ارتداء القناع بمثابة ميلاد جديد، يقول "نور":" أنا أجد متعة هائلة بنجاحي في تمرير شخصيتي كأور شابيرا.. هذا الاسم مذهل، القناع يمنحني اكتفاء تاما..."[1]، حيث يتخذ "نور" قرارًا ليكون خارج حدود ما يُراد له، بل وفق ما يختاره هو، في هذا الخيار الحر، تكتمل معاني المسؤولية الوجودية، إذ يتوجب على الإنسان أن يصنع نفسه بنفسه، ولا يمكنه التهرب من نتائج أفعاله.

إن رواية "قناع بلون السماء" لا تروي فقط قصة مقاومة الاستعمار، بل تفتح أيضًا نافذة عميقة للتفكير حول طبيعة الحرية البشرية وحدودها، من خلال تجربة الشخصية "نور"، ندرك أن السعي وراء الحرية يعبر عن ازدياد العبء والقلق والمسؤولية، لكن هذه السعي أيضاً يقربه أكثر نحو جوهر وجوده الحقيقي.

ب/ القلق الوجودي:

تبرز رواية "قناع بلون السماء" عالماً سردياً يجسد معاناة الفلسطينيين مع قلقهم العميق بشأن وجودهم، البطل "نور الشهدي" لا يواجه فقط تحديات الاستعمار الصهيوني، بل يخوض أيضاً صراعاً داخلياً قاسياً مع أسئلة حول وجوده وهويته ومستقبله، يقول السارد: "هذا ما أدركه أثناء توغله في هوية أور شابيرا، إذ كان على وشك الوقوع نحو أعماق هاوية التباس لا قرار لها..."[2]، القلق الذي يشعر به "نور" ليس توتراً عابراً بسبب التهديد الخارجي،

[1] قناع بلون السماء، ص56.

[2] قناع بلون السماء، ص63.

بل هو شعور أساسي ينشأ من وعيه العميق بمسؤوليته عن نفسه والمعنى الذي يمنحه لحياته في عالم مليء بالفوضى والعبث، وعندما يقرر "نور" ارتداء قناعه، تنفجر داخله مشاعر التوتر والانقسام، يدفعه شغف قوي للتحرر لكنه يدرك في الوقت نفسه أن كل خطوة يخطوها تقربه من مصير مجهول، هذا التوتر الذي ينشأ من رغبته في التحرر وخوفه من الفناء الذي يمثل جوهر القلق الوجودي في الرواية، و"نور" يخاف أكثر من أن يعيش حياة بلا معنى يتبع فيها تعليمات قوى خارجية دون أن يكون له رأي أو قرار.

تظهر الرواية القلق الوجودي كنتيجة طبيعية للحرية كلما زاد وعي الإنسان بحريته، وأدرك أنه وحده من يجب أن يختار مصيره، وأنه لا شيء خارجي يمكنه تبرير أفعاله أو إنقاذه من عبء المسؤولية، يدرك "نور" عبء هذه المسؤولية بشكل شديد، فهو لا يمكنه إلقاء اللوم على الاحتلال وحده، بل يعرف أن عليه تحديد مكانه وشكله وتأثيره في معركة وجوده في لحظاته الصامتة، يصبح القلق كظِل دائم يرافقه يكشف له هشاشة وصعوبة وجوده، ولكنه في نفس الوقت يفتح له باب الحرية الكاملة، وتصل ذروة القلق عندما يجد "نور" نفسه أمام احتمال الانكشاف أو الفشل، في كل لحظة تهدده بإسقاط هويته المقنعة، ويشعر وكأن وجوده مهدد بالانهيار، تقول الشخصية "نور":" ماذا لو اكتشف أمري وعثر علي متلبسا بظله وهويته في شارع ملعون الأقدار في تل أبيب أو القدس؟"[1]، هذا الشعور بالخطر لا يضعفه بل يجعله أكثر وعياً بذاته وأكثر تمسكاً بخياره الحر، إنه شكل من القلق الذي لا يشل الإرادة بل ينميها، ولا خلاص للإنسان إلا بمواجهة قلقه والمضي قدماً رغم الخوف والشك ليكوّن حقيقته بنفسه.

وتوضح الرواية من خلال تجربة "نور" أن القلق ليس عيبًا أو حالة مرضية يجب التخلص منها، بل هو شرط وجودي عميق يدفع نحو التجاوز، ويساهم في تشكيل الذات الحقيقية، القلق هو الثمن الذي يدفعه الإنسان مقابل وعيه واستقلاله، وهو دليل على أن الكائن البشري

[1] قناع بلون السماء، ص62.

لا يعيش بحسب مخططات جاهزة، بل يتنقل في عالم مفتوح على فرص وتحديات، إن بين أزقة المدينة المحتلة، وتحت سماء مليئة بالغيوم، شخصية "نور" تحمل قلقا كحقيقة وجودية لا مفر منها، فالرواية لا تعرض بطلاً خارقًا بلا مخاوف، بل إنسانًا حقيقياً يتأرجح بين الشك واليقين وبين الرغبة في الحياة والخوف من الفراغ، وهكذا يتحول القلق في "قناع بلون السماء" من حالة نفسية إلى موقف فلسفي شامل، يرسم معالم إنسان لا يتراجع أمام مصيره بل يواجهه بقلب مفتوح على الحرية مهما كانت التكاليف.

2/ العلاقة بين الزمان والمكان وسؤال الوجود:

يختلف المكان عن الزمان من حيث دورهما في الرواية، فالأول "يمثل الإطار الذي تقع فيه الأحداث، بينما الزمان يتمثل في جريان الأحداث وتطورها، حيث يعد الزمان بمثابة النهر الذي تناسب فيه الأحداث، (غاضبا أحيانا وهادئا أحيانا أخرى) فالمكان هو ضفة ذلك النهر حيث يصاحبه مع النبع إلى النصب لاحتوائه"[1].

ورغم كل هذا تشكل العلاقة ما بين الزمان والمكان والسؤال حول الوجود جوهر رواية "قناع بلون السماء" للكاتب باسم خندقجي، فالمكان لا يُعتبر مجرد مساحة فارغة، وكذلك الزمن ليس مجرد مرور لحظات، بل يتداخل كلاهما ليصبح لهما تأثير فعال على وعي الفرد والمجتمع، حيث يؤثران بشكل كبير على تجربة البطل "نور الشهدي"، ومن ثم شكل هويته الوجودية في ظل الاحتلال وفقدان الهوية، تتحول التساؤلات الوجودية إلى جزء لا يتجزأ من كل حركة وكل قرار وكل لحظة يعيشها الشخص، مما يجعل الرواية نصًا عميق التأمل حول معنى وجود الإنسان ككائن حر ومقاوم في عالم قاسي، حيث في الرواية لا يكون المكان مجرد خلفية عادية، بل يتجسد ككيان ينبض بالحياة ويتفاعل مع البشر، فنجد المدينة التي تحت قبضة المحتل، ونجد الشوارع التي تمتلئ بأعين تراقب، وأزقة المخيم تضيق حتى

[1] رابح لطرش، **بناء الرواية العربية الجزائرية**، رسالة الماجستير، جامعة عين الشمس، مصر، ص161.

تشعر وكأنها تخنق الروح، تفاصيل المكان تفيض بإحساس الاغتراب والقهر، يقول الراوي:" كان يعتقد أنه ولد من الزقاق، من رحم خفية فيه لا يدركها سوى المنكوب منذ الصرخة الأولى..."[1]، هذا ما يفرض على الوعي الفردي تحدٍ مستمر في الوجود، ويعيش "نور" في بيئة مهددة، حيث كل خطوة تحمل خطرًا، وكل حركة قد تؤدي إلى التعرض للخطر أو الفناء، وهذا الفضاء المليء بالتوتر لا يكتفي بالتحكم في الجسم بل يسعى أيضًا إلى إلغاء الهوية، مما يدفع "نور" إلى إعادة تشكيل نفسه من خلال فعل المقاومة، هنا يصبح المكان دافعًا رئيسيًا للوجود، أما بالنسبة للزمان، هو زمن مليء بالأزمات لا يسير في خط مستقيم، بل يتداخل فيه الماضي مع الحاضر، والمستقبل في تدفق دائم من القلق والترقب، الزمن الذي يعيش فيه "نور" هو زمن مكسور مؤقت، حيث تتداخل اللحظات المتوترة مع الأمل في الفرج والانعتاق في زمن المقاومة، إذ لا يمكن للشخص أن يركن للاسترخاء، بل يجب عليه أن يعيش كل لحظة كأنها فرصة أخيرة لإثبات وجوده، هذا الزمن المليء بالتوتر يعزز لدى "نور" وعيًا مضاعفًا بمستقبله، ويجعل كل قرار يتخذه فعلًا وجوديًا واضحًا.

يتضح الترابط العميق بين الزمان والمكان في الرواية من خلال الطريقة التي يتكاملان بها لخلق واقع خانق يدفع "نور" إلى اتخاذ موقف جذري في وجوده، في ضيق المكان وضغوط الزمان، تظهر التساؤلات الأساسية: من أكون في هذا العالم؟ كيف أستطيع الحفاظ على إنسانيتي في بيئة تحاول سلب هويتي؟ كيف أستطيع تكوين ذاتي رغم هذا الإنكار؟ هذه التساؤلات لا تُطرح بشكل نظري، بل يتم تجربتها مع كل دقة قلب وكل خطوة محفوفة بالخطر، إن الزمان والمكان يجبرون "نور" على مواجهة قلقه الوجودي بشكل كامل، قلق الوجود ذاته وليس مجرد قلق الحياة اليومية، ونجد أن واحدة من أبرز الحقائق التي تكشفها الرواية هي أن "نور" يرفض أن يستسلم لظروف الزمان والمكان المفروضة عليه، من خلال ارتداء القناع لتجاوز الحدود التي وضعت له، ويخلق لنفسه هوية جديدة ترفض التصنيف

[1] قناع بلون السماء، ص15.

أو الاختزال، في حين يصبح القناع رمزًا للتحرر، وأداة لتدمير قيود المكان المرئي، وتحويل الزمن القاسي إلى زمن فعّال، فالقناع لا يحجب "نور" عن أنظار الغزاة فحسب، بل يكشف عن حقيقة أعمق: أن البشر يمكنهم إعادة تشكيل معانيهم، وخلق حريتهم حتى في أصعب الظروف.

لا تقتصر الرواية على عرض الصراع مع المكان والزمان، بل تشير إلى أن سؤال الوجود يحمل أيضًا بعدًا جماعيًا، فمعاناة "نور" ليست وحدها، بل تعكس معاناة شعب بأكمله مع الاغتراب الإجباري والتهجير، إذ أن المكان المحتل والزمن المسروق وجه لجراح جماعية تتردد أصداؤها في ضمير كل من يعيش على هذه الأرض، إذ يقول السارد: "هل سيغدو المخيم بعد سبعين عاما أو أكثر من أكبر المواقع الأثرية التاريخية في العالم الدالة على عمق عقلنة التوحش الإنساني؟"[1]، وهكذا يصبح نضال "نور" بكل تناقضاته وصراعاته جزءًا من مقاومة أكبر تهدف إلى استعادة الحق في المكان والزمان، ومن خلالهما الحق في الوجود كإنسان حر، وتظهر قراءة "قناع بلون السماء" أن الوجود لا يتحقق بمجرد الاستمرار في الحياة، بل بالقدرة على إيجاد معنى في مواجهة العبث والعدم في مواجهة المكان المقموع والزمن الممزق، يثبت "نور" أن الإنسان رغم ضعفه باستطاعته أن يختار أن يكون خيار يستند إلى إرادة حرة وواعية، ولا تلغيه مشاعر الخوف أو القلق، بل تحتضنهما وتحولهما إلى قوة دفع نحو التجاوز، من هذا المنطلق يتحول سؤال الوجود في الرواية إلى فعل مقاومة ضد محاولات الإلغاء، وإلى تأكيد على كرامة الإنسان في مواجهة التشتيت والاغتراب.

ونستنتج أن رواية "قناع بلون السماء" تقدم صورة وجودية حية، حيث يكون المكان والزمان بمثابة المختبر الذي يُختبر فيه الإنسان وينضج حقيقة ذاته. وبين جدران المدينة المحتلة،

[1] قناع بلون السماء، ص16.

وتحت عبء الزمن المعلق بين الخوف والأمل، يولد الوعي بالذات كضرورة وليس كرفاهية، وهكذا تكتمل حلقة المعنى لا وجود دون مواجهة، ولا حرية دون تجاوز المكان والزمان.

خاتمة

خاتمة

وفي خاتمة هذه المذكرة التي تناولت فيها "سؤال الهوية والوجود في رواية "قناع بلون السماء" لباسم خندقجي"، توصلنا للنتائج التالية:

تبرز الرواية تصورا معقدا للهوية، حيث لا تعرض باعتبارها كيانا واضحا ونهائيا، بل كأقنعة متعددة تتبدل بتبدل السياقات، مما يعكس هشاشة الحدود بين "الذات الحقيقية" و"الذات المتخيلة".

يتجلى سؤال الوجود في الرواية من خلال القلق الدائم والتردد والانشطار الداخلي، حيث تتحرك الشخصية داخل مسارات لا تبحث عن حقيقة نهائية، بل تعيش حالة بحث مستمر عن معنى ذاتها وموقعها في العالم.

تشير معلومات الدراسة إلى أن مسألة الهوية تتعلق بمسألة الاعتراف، أي بمقدرة الفرد على التعبير عن نفسه وتأكيد وجوده في سياق معين.

اشتغلت الرواية على رمزية القناع ليس كأداة إخفاء، بل كوسيلة تعبير عن واقع داخلي مضطرب، مما يحول القناع من رمز للزيف إلى مرآة تكشف أعماق الوجود الإنساني.

لا يقدم القناع في النص بوصفه مجرد قيد، بل وسيلة دفاعية ووجودية، تتيح للذات أن تحيا وتتكيف في عالم مليء بالرقابة الاجتماعية والضغوط الأخلاقية والسياسية.

تؤكد رواية "قناع بلون السماء" أن الوجود يبنى من التجارب الداخلية وليس من الخارج، وأنه يتحقق في لحظات النزاع لا في لحظات السكون.

تكشف الدراسة أن الهوية والوجود يشكلان هيكلا مزدوجا، فلا يمكن تصور وجود حقيقي بدون وعي بالهوية، ولا يمكن أن تكون الهوية فعالة دون وجود واقعي مدرك.

يظهر في الرواية تداخل مستمر بين ما هو ظاهر وما هو باطن، مما يبين التناقض بين الصورة الاجتماعية المفروضة والهوية الذاتية الكامنة، ويعمق بذلك السؤال الوجودي: من أنا؟

خاتمة

تشير رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي" الصراع حول الهوية في ظل الشعور بالاغتراب، مع بروز التوتر بين الذات والعالم، بالإضافة إلى التناقض بين الانتماء والقلق الوجودي.

تتحول الكتابة نفسها إلى أداة مقاومة وجودية، تعيد تشكيل الهوية وتؤكد الذات أمام الفناء والنسيان.

تندرج أعمال "باسم خندقجي" في رواية "قناع بلون السماء" ضمن الخطاب السردي المعاصر، الذي يستغل الشكل الأدبي للتفكير في القضايا الإنسانية الكبرى، وأهمها الهوية والوجود.

الملاحق

فوز الرواية بالجائزة العالمية للرواية العربية:

رواية "قناع بلون السماء" التي فاز عنها "خندقجي" بالجائزة العالمية للرواية العربية، بحيث ركزت الرواية على التاريخ والثقافة والهوية، مع انتقادات للممارسات الإسرائيلية العنصرية، بحيث قدم لنا " خندقجي" شرح مفصل لتعقيدات الحياة تحت الاحتلال والهويات المتعددة التي يمكن أن تتحول إلى قناع.

بعد تأهل رواية "باسم خندقجي" للقائمة الأخيرة للروايات المرشحة للجائزة، تعرض لإجراءات تعسفية من قبل مصلحة السجون الإسرائيلية، إذ تم عزله انفراديا لمدة 12 يوما، وتكبيل يديه لمدة 12 ساعة.

كما تعرض لحملة تحريض من اليمين المتطرف بقيادة وزير الأمن الإسرائيلي "إيتمار بن غفير"، تدعو إلى تشديد ظروف اعتقاله، وبلغ الأمر ببعض المحرضين إلى الدعوة إلى قتله.

وأعلن عن فوز رواية "باسم خندقجي" بالجائزة يوم 28 أبريل/نيسان 2024، وتسلمتها بالإنابة عنه مالكة دار الآداب رنا إدريس.

الملاحق

ملخص الرواية:

تتناول رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي"، مرحلة من حياة "نور مهدي الشهدي" الباحث المختص في التاريخ والآثار، خريج المعهد العالي للآثار الإسلامية التابعة لجامعة القدس، والذي يعيش في مخيم للاجئين في رام الله.

يسعى "نور" لكتابة رواية عن "مريم المجدلية" التي تؤرخ سيرتها لسيرة فلسطين نفسها، ولذلك يقرر أن ينتحل شخصية "أور شابيرا" اليهودي الذي وجد بطاقة هويته في جيب معطف مستعمل اشتراه من سوق العتق، في مدينة يافا المحتلة.

صديقه الوحيد "مراد" يشكل معاملا موضوعيا لتفكير "نور"، حيث كان يجري حوارات متخيلة مع صديقه دون أن تصل رسائله إليه، باعتبار أنه كان يسجلها في هاتفه، فيقوم نور بالتسجيل للعمل مع مؤسسة أمريكية ستنقب عن الآثار في "كيبوتس"، المقام على أراضي "أبو شوشة" المهجرة، وما دفعه إلى ذلك هو البحث عن صندوق "مريم المجدلية" ليثبت بعض الوقائع التاريخية.

يلتقي "نور" في "الكيبوتس" "بسماء إسماعيل" الفلسطينية من حيفا والتي تشارك في أعمال التنقيب، وهي التي دائما ما تواجه الإسرائيليين والأمريكيين بموقفها من هويتها، حينها يقرر "نور" الاعتراف "لسماء" بأنه فلسطيني ويسرد لها قصة الهوية.

تنتهي الرواية بخروج "نور" من "الكيبوتس" بعد معركة "مسيرة الأعلام" في القدس، حيث تم إلغاء عملية التنقيب بسبب الأحداث التي جرت لاحقا، وتقف له "سماء" بسيارتها وتقله خارج "رام الله".

صورة الرواية:



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1/ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 2008.

2/ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر، بيروت، 2012.

3/ ألكس مكشللي، الهوية، ترجمة: على وطفة، الطبعة العربية الأولى، دمشق، 1993.

4/ الشافعي الفيروز بادي الشيرازي، المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد1، ط1، 1999.

5/ محمد يعقوبي، معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.

6/ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

7/ عثمان نويه، المفكرون من سقراط إلى سارتر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970.

8/ موريس كرانستون، سارتر بين الفلسفة والأدب، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 2002.

9/ مارتن هايدغر، الكينونة والزمان، ترجمة: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

10/ د، نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، المكتبة الثقافية، الأردن.

11/ عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الوجودية لدى الغرب، اتحاد الكتاب العرب، على الأنترنت.

12/ صالح طيب، موسم الهجرة إلى الشمال، بيروت، دار العودة، 1966.

13/ غسان كنفاني، رجال في الشمس، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1963.

14/ نجيب محفوظ، الطريق، القاهرة، دار مصر للطباعة، 1964.

15/ عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1975.

16/ الكردوسي إلهام، جائزة البوكر 2024 تذهب للكاتب الفلسطيني الأسير باسم خندقجي، الوطن، مؤرشف 2024/04/28.

17/ عبد الله عمران، قناع بلون السماء للأسير الفلسطيني باسم خندقجي تفوز بالجائزة العالمية للرواية العربية 2024، الجزيرة نت، مؤرشف 2024/04/28.

18/ ميشال فوكو، الفرد والمجتمع، ترجمة: حسين موسى، بيروت، دار الساقي، 2010.

19/ محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، ط2، 2012.

20/ جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم حفني، بيروت، دار الآداب، 1987.

21/ عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، القاهرة، وكالة الأهرام للتوزيع، 1992.

22/ بول ريكور، رمزية الشر، ترجمة: جورج كتورة، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2010.

الدراسات الجامعية:

1/ أحمد علي كنعان، الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة، (دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق)، دمشق، 2008.

2/ عز الدين باي، خطاب الهوية في رواية "مالا تذروه الرياح"، دراسات جزائرية، مختبر الخطاب الأدبي الجزائري، جامعة وهران، العدد 3، مارس 2006.

3/ خديجة مدقن، المكان في موسم الهجرة إلى الشمال، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 7، 2006.

4/ سامية عزيز، عمر محمودي، دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011.

الفهرس:

إهداء .....

شكر وعرفان .....

مقدمة: ..... Erreur ! Signet non défini.

أهمية الموضوع: .....أ

إشكالية الموضوع: ..... ب

فرضيات الموضوع: .....ج

دوافع اختيار الموضوع: .....ج

منهج الدراسة المعتمد:.....ج

الدراسات السابقة: ..... د

الصعوبات: ..... د

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي. **10**

المبحث الأول: مفهوم الهوية والوجود. **10**

المبحث الثاني: الأدب وسؤال الهوية والوجود. **10**

المبحث الثالث: باسم خندقجي وسياقه الأدبي..... **10**

مفهوم الهوية والوجود:..... 11

1/ تعريف الهوية: 11

الهوية الثقافية في السياق العربي:..... 12

2/ تعريف الوجود:..... 13

أ/ الوجود في الفلسفة الوجودية: (سارتر، هايدغر). **14**

ب/ الوجود في الأدب: بين الذات والآخر..... **16**

الأدب وسؤال الهوية والوجود: **18**

الفهرس

1/ الأدب كوسيلة للتعبير عن الأسئلة الفلسفية:..... 18

2/ مفهوم الهوية الأدبية في الرواية العربية: 19

3/ نماذج من الروايات العربية التي تناولت سؤال الهوية والوجود: 20

باسم خندقجي وسياقه الأدبي:..... 21

1/ نبذة عن باسم خندقجي:..... 21

أ/ سيرته الأدبية:..... 21

ب/ اهتمامه بالقضايا الفلسفية والإنسانية: 22

ج/ رواية قناع بلون السماء ضمن أعمال باسم خندقجي:..... 22

..... 24

الفصل الثاني: تحليل سؤال الهوية في "قناع بلون السماء".....25

المبحث الأول: الهوية الفردية والجماعية. 25

المبحث الثاني: جدلية الذات والآخر. 25

المبحث الثالث: الرموز والدلالات المتعلقة بالهوية. 25

الهوية الفردية والجماعية:..... 26

1/ تحليل شخصيات الرواية: 26

أ/ صراع الشخصيات مع ذاتها:..... 27

ب/ العلاقة بين الفرد والمجتمع: 29

2/ الهوية الثقافية والوطنية في الرواية: 30

جدلية الذات والآخر:..... 31

1/ مفهوم الآخر في الرواية: 31

أ/ الآخر كتهديد للهوية:..... 32

2/ علاقة الشخصيات بالآخر (المجتمع، السلطة، المنفى):..... 34

الرموز والدلالات المتعلقة بالهوية: 35

الفهرس

1/ تحليل الرموز المتعلقة بالهوية في الرواية: 35

أ/ القناع ودلالاته: 36

ب/ السماء كرمز للأفق والحرية: 37

2/ دور الرموز في سؤال الهوية: 38

الفصل الثالث: سؤال الوجود في رواية " قناع بلون السماء". 41

المبحث الأول: الوجود الفردي. 41

المبحث الثاني: الوجود الجماعي. 41

المبحث الثالث: أبعاد فلسفية في الرواية..... 41

الوجود الفردي:..... 42

1/ صراع الشخصيات مع فكرة الوجود: 42

2/ الاغتراب الوجودي في الرواية:..... 43

أ/ اغتراب الشخصيات في علاقتها مع العالم: 44

ب/ البحث عن معنى الحياة:..... 46

الوجود الجماعي: 48

1/ سؤال الوجود في السياق الجماعي:..... 49

2/ التحولات الاجتماعية والسياسية وأثرها على الوجود:..... 51

أبعاد فلسفية في الرواية:..... 52

1/ انعكاسات الفلسفة الوجودية في النص: 53

أ/ الحرية والمسؤولية الوجودية: 54

ب/ القلق الوجودي:..... 55

2/ العلاقة بين الزمان والمكان وسؤال الوجود: 57

خاتمة..... 61

قائمة المصادر والمراجع..... 68

الفهرس

الفهرس: **72**

الملخص: **76**

قائمة الملاحق:

الرقم	العنوان
.1	**فوز الرواية بالجائزة العالمية للرواية العربية:**
.2	**ملخص الرواية**
.3	**صورة الرواية**

الملخص:

يعتبر موضوع الهوية والوجود من أكثر القضايا تعقيدا وإلحاحا في مجالات الفلسفة والأدب، نظرا لأن له أبعادا إنسانية عميقة تتعلق بمعنى الكينونة والمعرفة الذاتية في عالم مليء بالاضطرابات، بحيث لا تعتبر الهوية كشيء ثابت، بل هي عملية مستمرة تتشكل عبر علاقة الفرد بنفسه وبالآخرين، وفي الوقت نفسه يرتبط الوجود بوجود الإنسان في هذه الدنيا وقدرته على الاختيار والفعل وإيجاد المعنى، عندما يطرح هذان السؤالان في أوقات من الاضطراب الاجتماعي والسياسي، كما هو الحال مع التجربة الفلسطينية، فإنهما يصبحان يحملان طابعا مأساويا ووجوديا معا، وقد تناولنا في بحثنا هذا سؤال الهوية والوجود في رواية "قناع بلون السماء" "لباسم خندقجي"، إذ كشف من خلالها عن مدى توظيف هذا السؤال، ليتناول هذين العنصرين بعمق إنساني وفلسفي، حيث يمثل فضاء سرديا يكشف عن تشظي الهوية وتفكك الوجود تحت وطأة القهر والتمزق النفسي والجغرافي، وتتميز الرواية بتفكيك الأبعاد الثابتة للذات، ولتظهر كيف يمكن للإنسان أن يصبح قناعا يخفي هشاشته الوجودية، أو أن يكون صوتا يسعى للبحث عن المعنى وسط ضجيج الفقد والتشويه، فالهوية في هذه الرواية ليست انتماء نهائيا، بل هي رحلة مؤلمة من البحث في حين أن الوجود ليس مجرد وجود مريح بل هو فعل مقاومة، وتعيد الرواية بناء مفهوم الذات من خلال صراعها مع القهر، وتحول السرد إلى وسيلة للاحتفاظ بالمعنى، حيث تصبح كل جملة محاولة للتمسك بما تبقى من الذات في ظل الانهيار.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الوجود، قناع بلون السماء.

Abstract:

The topic of identity and existence is one of the most complex and pressing issues in the fields of philosophy and literature, given its profound human dimensions related to the meaning of being and self-knowledge in a world filled with turmoil. Identity is not considered a fixed thing, but rather an ongoing process shaped by the individual's relationship with himself and others. At the same time, existence is linked to the human being's existence in this world and his ability to choose, act, and find meaning. When these two questions are raised in times of social and political turmoil, as is the case with the Palestinian experience, they take on a tragic and existential character. In this research, we address the question of identity and existence in Bassem Khandakji's novel "A Mask the Color of the Sky." Through it, he reveals the extent to which this question is employed to address these two elements with human and philosophical depth. It represents a narrative space that reveals the fragmentation of identity and the disintegration of existence under the weight of oppression and psychological and geographical fragmentation. The novel is distinguished by its deconstruction of the fixed dimensions of the self, demonstrating how a person can become a mask that conceals their existential fragility, or a voice seeking meaning amidst the chaos. The noise of loss and distortion. Identity in this novel is not a definitive belonging, but rather a painful journey of searching, while existence is not merely a comfortable existence but an act of resistance. The novel reconstructs the concept of self through its struggle with oppression, transforming narrative into a means of preserving meaning, where every sentence becomes an attempt to cling to what remains of the self in the shadow of collapse.

Keywords: identity, existence, sky-colored mask.